

شرح الفتوحات القدسية
على متن الأجرومية
المسمى بنحو القلوب

شرح الفتوحات القدسية
على متن الأجرومية
المسمى بنحو القلوب

للإمام العلامة الشيخ أحمد بن عجيبة

تحقيق الفقير إلى الله تعالى

محمد عبد الحليم عبد الحميد

غفر الله له



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله تعالي مرشد السالكين إليه فوفقهم لطاعته والعمل بما جاء به نبينا محمد ﷺ خير داع إلي الله وهاد إلي سبيل الرشاد.. وبعد.

فها هو كتاب شرح الفتوحات القدسية علي متن الأجرومية المسمي بنحو القلوب للإمام العلامة الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه.. أقدمه إلي السادة المتصوفين في ثوب قشيب وذلك بعد مطالعة أكثر من مخطوط علي نفس شرح الفتوحات القدسية ومقارنة بينه وبين نحو القلوب الكبير للإمام القشيري وعنيت أثناء التحقيق بالإشارات الصوفية أكثر من القواعد والأمثلة النحوية حيث هو المقصود وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

فتذوق المعاني العذبة والإشارات اللطيفة لذلك الصوفي الكبير ابن عجيبة حين يربط بين المعني الاشاري الصوفي والقواعد النحوية إذ أنه يري أن تقويم القلب أولي من تقويم اللسان.. فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب توصل إلي المشاهدة فلا مشاهدة إلا بعد مراقبة وذلك مقام الإحسان.. الذي فسره رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وما من علم إلا وقد يقع الإستغناء عنه في وقت ما. إلا علم التصوف فلا يستغني عنه أحد في وقت من الأوقات.. ولله در القائل:

أَيُّهـا الـعـاشِـقُ مَـعْـنـي حُسْنِنَا ... مَـهـرُنـا غـالٍ لِـمَـن يَـخْـطُـبُـنَـا

جَـسَـدٌ مُضْنىً وَرَوْحٌ فـي العَنا ... وَجُـفُـونـه لا تَـذُوقُ الـوَسَـنَـا

وَفُـؤادٌ لـيْـسَ فِـيـه غَـيْـرُنـا ... وَإذَا مـا شِـئْـتَ أَدِّ الثَّمنا

فَـافْـنَ إن شِـئْـتَ فَـنَـاءً سَـرْمَـدَا فَـالْـفَـنَـا يُـدْنِـى إلـى ذَاكَ الفِنا

واخْـلَـعِ النَّعْلَيْن إن جئت إلى ذَلِـــكَ الـحَـــيِّ ففيه قُـــدْ سُـنَـا

وَعَــنِ الـكَـوْنَـيـن كـن مُنخلعًا وَأزل مـا بَـيْـنَـنَـا مـن بَـيْـنِـنَـا

وإذا قـيـل مــن تــهــوى فقل أنــا مــن أهــوى ومــن أهــوى أنا

المحقق

محمد عبدالحليم عبدالحميد



التعريف بابن عجيبة

اسمه ونشأته:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف

ولد في مدشر أعجيبش في مدينة تطوان المغربية سنة ١١٦١هـ الموافق ١٧٥٨ م من قبيلة حوز تطوان من أبوين عابدين ناسكين فطموه علي الطاعة والعبادة منذ الصغر، إذ يتحدث عن نفسه رضي الله عنه فيقول: كنت صغيراً والحمدلله إذ ألهمني الله الخلوة والوحدة منذ الصغر لا ألعب مع الصبيان ولا ألتفت إلي ما هم فيه، وقد ألقي الله تعالي في قلبي حفظ القرآن ومحبة العلم وأنا في حال الصبا، فاشتغلت بهما وقرأت القرطبية في الفقه المالكي وحافظت علي الطاعات من صلاةٍ وذكرٍ منذ طفولتي.

طلبه للعلم:

بعد أن حفظ القرآن وأتم حفظ القرطبية وكذلك الأجرومية في اللغة ومتن ابن عاشر وهو يرعي الغنم، وأتقن حفظ القرآن علي يد جده المهدي، والشيخ أحمد الطالب، وشرع في طلب العلم وعمره تسع سنوات، فأخذ العلم من مشايخ عدة منهم الشيخ عبدالرحمن الكتامي، والشيخ العربي الزوادي، والفقيه محمد أشم، والشيخ محمد السوسي السملالي، وفي سنة ١١٨١ هـ قدم مدينة تطوان بالمغرب

حيث واصل طلب العلم فلازم الشيخ أحمد الرشا، والشيخ عبدالكريم ابن قريش وغيرهما، ودرس في فاس علي يد الشيخ التاودي بن سودة، والشيخ محمد بنيس.

ثم اشتغل بالتدريس بمدينة تطوان لمدة خمس عشرة سنة، وفي سنة ١٢٠٨ هـ كان راجعاً من فاس فأحب المرور علي الشيخ أحمد الدرقاوي في بادية بني زروال فالتقي بالشيخ محمد البوزيدي تلميذ الشيخ الدرقاوي فقال له: جعلك الله كالجنيد يتبعك أربع عشرة مائة مرقعة ثم ذهب به إلي الشيخ الدرقاوي وفرحا بقدومه كثيراً، ورحبا به وأقام عندهما ثلاثة أيام ثم رجع إلي تطوان لمدة قصيرة ليرجع بعدها مرة ثانية للشيخ محمد البوزيدي المذكور ويأخذ عنه الطريق ويسلك علي يديه، ثم لبس المرقعة الصوفية ووضع السبحة في رقبته علي عادة صوفية الطريقة الدرقاوية، ثم أذن له شيخه بالخروج للسياحة والدعوة إلي الله تعالي فاجتهد في ذلك حتي أنفق كل ماله، وكان ميسوراً حتي أنه باع كتبه ومراجعه العلمية كذلك، وقد بني زوايا صوفية في منطقة جبالة في المغرب.

فأصبح عارفاً ربانياً كبيراً، وعالماً صوفياً جليلاً اجتمعت لديه عوارف العلوم والفنون، وانكشفت له أسرار الفهوم والمتون، فقيه مفسر كبير، قلّ نظيره في بلاد المغرب، وعلا صنيعه ببلاد المشرق، وقد سلك طريقه العديد من النفوس، وتغني بشعره الكثير من الألسن..

مؤلفاته رضي الله عنه:

لابن عجيبة كتب كثيرة تزيد عن الأربعين مؤلفا منها:

١ ـ شرح الحكم في إيقاظ الهمم، وهو شرح جليل للحكم العطائية.

٢ ـ الفتوحات الإلهية، هو شرح علي المباحث الأصلية في التصوف.

٣ ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد وهو تفسير للقرآن الكريم علي طريق الإشارة الصوفية ست مجلدات.

٤ ـ الدرر المتناثرة في توجيه القراءات المتواترة، هو شرح في علم القراءات.

٥ ـ تأليف في قوله تعالي «الله نور السموات والأرض».

٦ ـ شرح الفاتحة وبعض فضائلها.

٧ ـ شرح رائية في التصوف لأبي مدين الغوث.

٨ ـ شرح القصيدة الخمرية لمحمد البوزيدي.

٩ ـ الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الأجرومية بمقتضي قواعد النحو ثم بطريق الإشارة.

١٠ ـ كشف النقاب عن سِرْ لب الألباب.

١١ ـ معراج التشوف إلي حقائق التصوف.

١٢ ـ مجموع الأدعية والأذكار الممحقة للذنوب والأوزار.

١٣ ـ الأنوار السنية في الأذكار النبوية.

١٤ ـ اللواقح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية.

١٥ ـ شرح الصلاة المشيشية.

١٦ ـ شرح القصيدة الهائية لأحمد الرفاعي.

١٧ ـ شرح القصيدة النونية للششتري.

١٨ ـ شرح قصيدة في اسم الله المفرد وما فيه من الأسرار، وقصيدة أخري في المحبة الإلهية.

١٩ ـ شرح منفرجة ابن النحوي.

٢٠ ـ شرح بردة البوصيري.

٢١ ـ حاشية علي الجامع الصغير للسيوطي.

٢٢ ـ سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر.

٢٣ ـ أزهار البستان في طبقات الأعيان.

٢٤ ـ شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض.

٢٥ ـ تسهيل المدخل لتنمية الأعمال بالنية الصالحة.. وغير ذلك من المؤلفات.

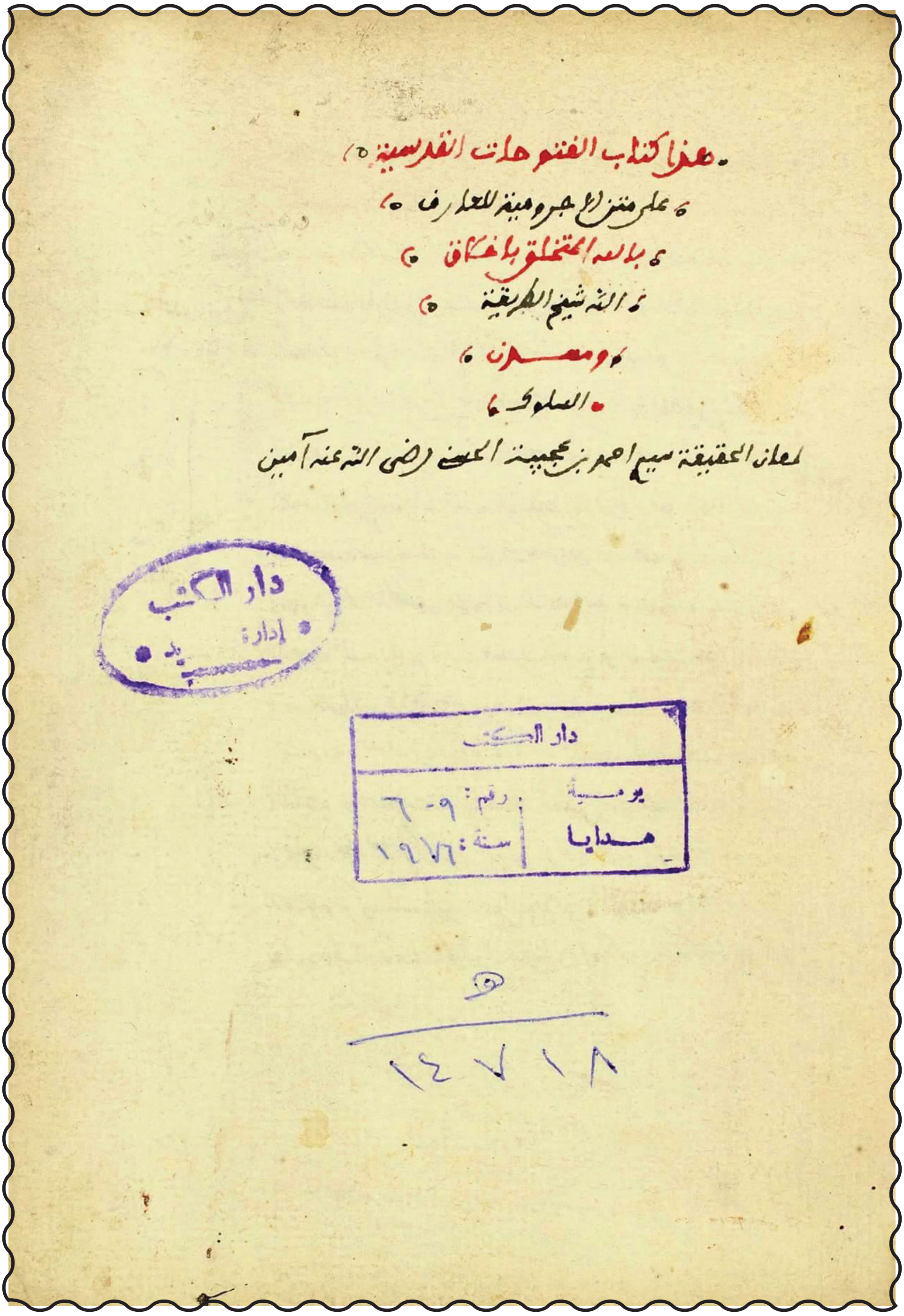
وفاته رضي الله عنه:

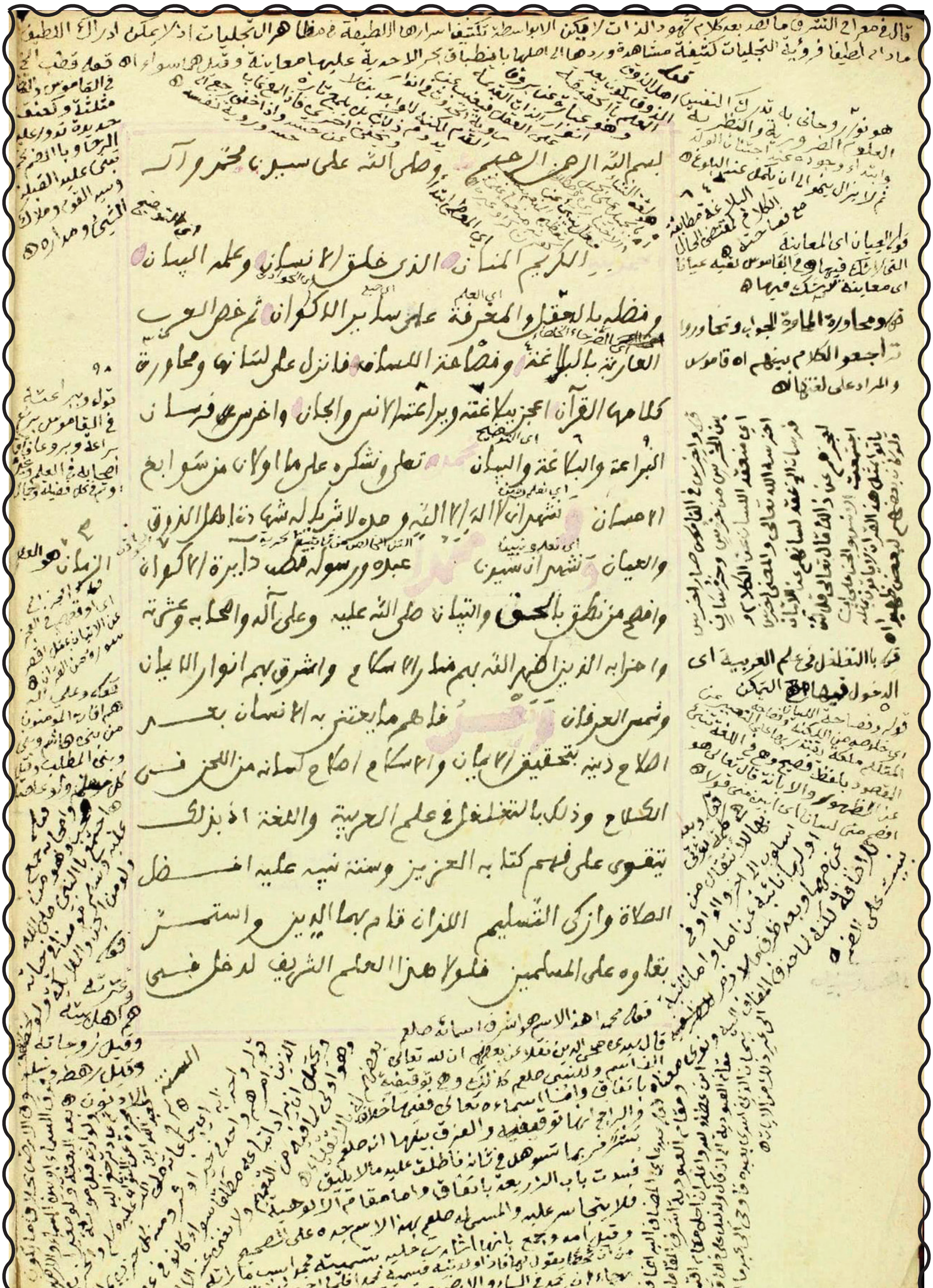
توفي ابن عجيبة في ٧ من شهر شوال سنة ١٢٢٤ هـ الموافق ١٨٠٨ م بالطاعون في بيت شيخه محمد البوزيدي بقرية غمارة شرق مدينة تطوان وبها دفن، ثم نقل إلي الزميج حيث أعيد دفنه هناك.

عقيدته: أشعري من أهل السنة، مذهبه: مالكي، طريقته: شاذلي، اهتماماته: التصوف والتفسير.

مصادر الترجمة:

شجرة النور الذكية / فهرس الفهارس / اتحاف المطالع / طبقات الشاذلية الكبرى / الأعلام للزركلي / معجم المؤلفين .


هذا كتاب الفتوحات القدسية
على متن الأجرومية للعارف
بالله المتخلق بالأخلاق
الله شيخ الطريقة
ومعدن
السلوك
لمعان الحقيقة سيدي أحمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه آمين



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الكريم المنان الذي خلق الإنسان وعلمه البيان

وفضله بالعقل والمعرفة على سائر الأكوان ثم خص العرب

العاربة بالبلاغة وفصاحة اللسان فأنزل على لسانها ومحاورة

كلامها القرآن المعجز ببلاغته وبراعته الإنس والجان وأخرس فرسان

البراعة والبلاغة والبيان نحمده تعالى ونشكره على ما أولانا من سوابغ

الإحسان ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أهل الذوق

والعيان ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله قطب دائرة الأكوان

وأفصح من نطق بالحق والتبيان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعترته

وأحزابه الذين أظهر الله بهم منار الإسلام وأشرق بهم أنوار الإيمان

وشمس العرفان وبعد فأهم ما يعتني به الإنسان بعد

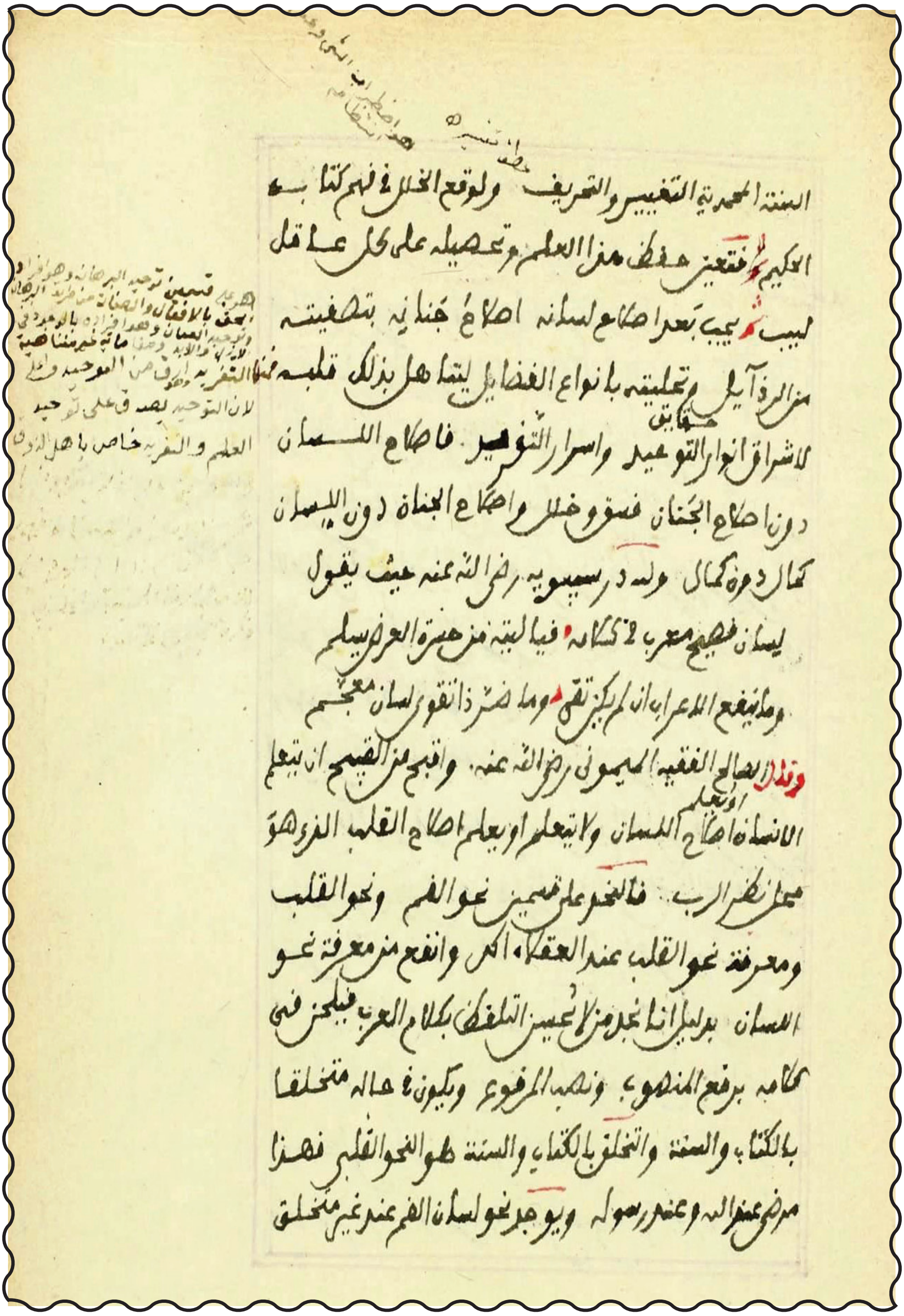
صلاح دينه بتحقيق الإيمان والإسلام إصلاح لسانه من اللحن في

الكلام وذلك بالتغلغل في علم العربية واللغة إذ بذلك

يتقوى على فهم كتابه العزيز وسنة نبيه عليه أفضل

الصلاة وأزكى التسليم اللذان قام بهما الدين واستمر

بقاؤه على المسلمين فلولا هذا العلم الشريف لدخل في



السنة المحمدية التغيير والتحريف ولوقع الخلل في فهم كتابه
الكريم فتعين حفظ هذا العلم وتحصيله على كل عاقل
لبيب ثم يجب بعد اصلاح لسانه اصلاح جنانه بتصفيته
من الرذائل وتحليته بانواع الفضائل ليتاهل بذلك قلبه
لاشراق انوار التوحيد واسرار التفريد فاصلاح اللسان
دون اصلاح الجنان فسوق وخلل واصلاح الجنان دون اللسان
كمال دون كمال ولله در سيبويه رضي الله عنه حيث يقول
لسان فصيح معرب في كلامه فيا ليته من وقفة العرض يسلم
وما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم
وقال الصالح الفقيه الميموني رضي الله عنه واقبح من القبيح ان يتعلم
الانسان اصلاح اللسان ولا يتعلم او يعلم اصلاح القلب الذي هو
محل نظر الرب فالنحو على قسمين نحو الفم ونحو القلب
ومعرفة نحو القلب عند العقلاء اكد وانفع من معرفة نحو
اللسان بدليل انا نجد من لا يحسن التلفظ بكلام العرب فيلحن في
كلامه برفع المنصوب ونصب المرفوع ويكون في حاله متخلقا
بالكتاب والسنة والتخلق بالكتاب والسنة هو النحو القلبي فهذا
مرضي عند الله وعند رسوله ويوجد نحو لسان الفم عند غير متخلق

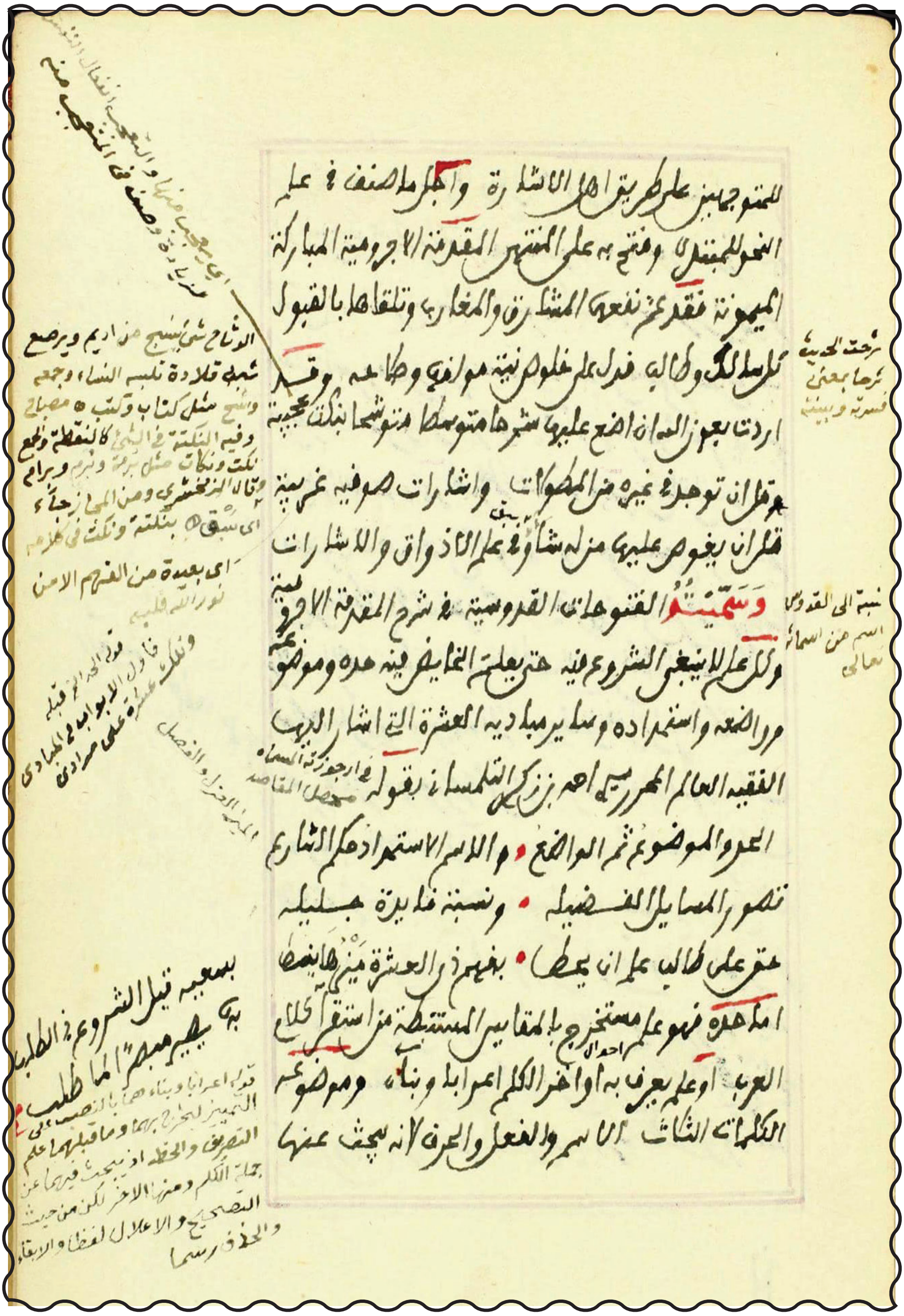
لان التوحيد يصدق على توحيد
العلم والتفريد خاص باهل الذوق

بالكتاب والسنة وهذا هو الغالب في زماننا هذا وهذا مذموم
عند الله وعند رسوله ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساق امتي قراؤها وقال ايضا العلم علمان علم اللسان فذلك
حجة الله على ابن آدم وعلم القلب فذلك العلم النافع وعلم القلب
هو اليقين الكبير ومعرفة الله بنعت العيان وهذا هو النحو
القلبي وهو فرض عين على كل مسلم اعني علاج القلب من
الامراض كحب الدنيا الذي هو راس الخطايا وهم الرزق وخوف
الخلق وغير ذلك من الامراض التي تعوق عن معرفة الحق
وشهوده وهذا النحو القلبي تسميه الصوفية محوا بالميم لانه
يمحو من القلب كل ما سوى الله وهذا العلم هو محط رحالهم
ومجال افكارهم قد استغنوا به عن جميع العلوم قيل للولي الكبير
سيدي احمد ابن موسى رضي الله عنه هل قرات شيا من النحو فقال قرات
بيتين من الالفية قوله فما لنا الا اتباع احمدا وقوله
فما ابح افعل ودع ما لم يبح وقال شيخ شيخنا ومادة
طريقنا مولاي العربي رضي الله عنه ما عرفت من النحو الا اعراب
قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ان شرط
ويغنهم جوابه والمراد بالغنى الغنى الاكبر فيكون خطا بل

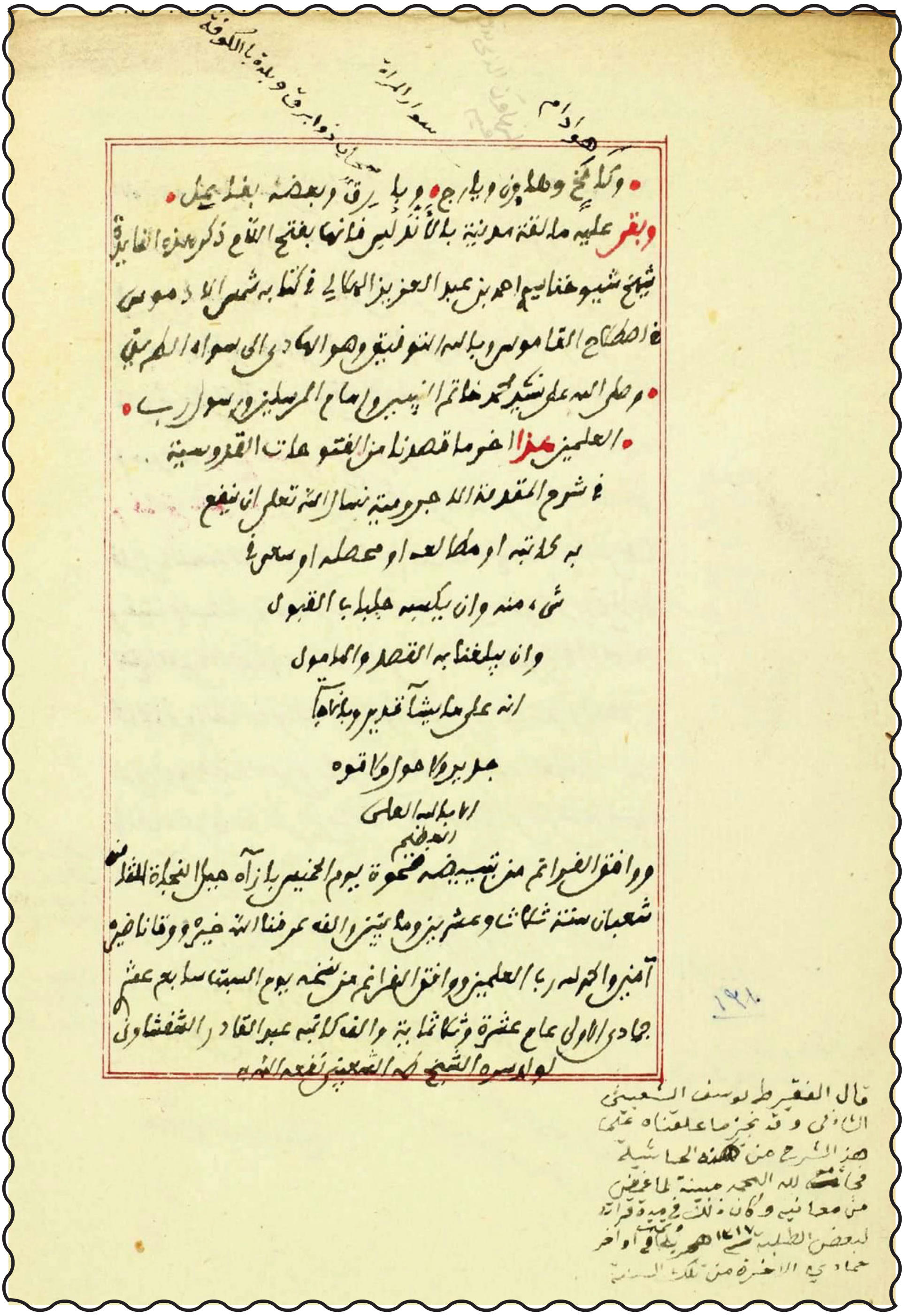
ای بیتین بحسب عمل

اي النافي عن الحشية والعمل والذي في الجامع الصغير العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم رواه ابن ابي شيبة والحكيم الترمذي عن الحسن مرسلا والخطيب عن جابر قال المنذري حديث صحيح

للمتوجهين



للمتوجهين على طريق اهل الاشارة واجل ما صنف في علم
النحو للمبتدي وفتح به على المنتهي المقدمة الاجرومية المباركة
الميمونة فقد عم نفعها المشارق والمغارب وتلقاها بالقبول
كل سالك وطالب فدل على خلوص نية مولفها وصلاحه وقد
اردت بعون الله ان اضع عليها شرحا متوسطا متوشحا بنكت عجيبة
وقل ان توجد في غيره من المطولات واشارات صوفية غريبة
قل ان يعثر عليها من ليس له شأو في علم الاذواق والاشارات
وسميته الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الاجرومية
ولكل علم لا ينبغي الشروع فيه حتى يعلم الطالب فيه حده وموضوعه
وواضعه واستمداده وسائر مباديه العشرة التي اشار اليها
الفقيه العالم المحرر سيدي احمد بن زكري التلمساني بقوله في ارجوزته المسماة محصل المقاصد
الحد والموضوع ثم الواضع • والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصور المسائل الفضيلة • ونسبة فائدة جليلة
حق على طالب علم ان يحيط • بفهم ذي العشرة منها انضبط
اما حده فهو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام
العرب او علم يعرف به احوال اواخر الكلم اعرابا وبناء وموضوعه
الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف لانه يبحث عنها



وكلا مخ وهلاون وبارج وبارق وبعضه بفلا ميل
ويقر عليه ما لغة معربة بالأندلس فإنها بفتح اللام ذكره بعض الفاسيين
شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي في كتابه شمس الادموس
في اصطلاح القاموس وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب
العالمين هذا آخر ما قصدنا من الفتوحات القدوسية
في شرح المقدمة الآجرومية نسأل الله تعالى أن ينفع
به كاتبه أو مطالعه أو محصله أو سعى في
شيء منه وأن يكسبه جلباب القبول
وأن يبلغنا به القصد والمأمول
إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير
ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي
العظيم
ووافق الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الخميس بإزاء جبل النجاة الثامن من
شعبان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف عرفنا الله خيره ووقانا ضيره
آمين والحمد لله رب العالمين ووافق الفراغ من نسخه يوم السبت سابع عشر
جمادى الأولى عام عشرة وثلاثمائة وألف كاتبه عبد القادر الشفشاوني
لوالديه والشيخ وله والمسلمين نفعه الله به

١٣١٠

قال الفقير يوسف الشعيبي
الـ... وقد نجز ما علقناه على
هذا الشرح من هذه الحاشية
في ... الله الحمد حسنة لما غمض
من معانيه وكان ذلك في مدة قراءته
لبعض الطلبة سنة ١٢١٧ هـ في أواخر
جمادى الآخرة من تلك السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمدلله) الذى أودع قلوب أهل خصوصيته علوماً وأسراراً * وأجرى على ألسنتهم حقائق ولطائف ومعارف وأنواراً * نزه أفكارهم فى بساتين عجائب قدرته * وأدهش أرواحهم بما أشهدها من كمال جماله وكبريائه وعظمته * خاضوا لجج التحقيق فاستخرجوا جواهره ودرره * فلهم فى كل ذرة من ذرات الوجود عبرة * وفى كل تقلب من تقلبات الدهر فكرة وخبرة (أحمد الله تعالى) حمد موقن * سبحانه سبحانه * خلق الإنسان * وعلمه البيان * وفضله بالعقل والمعرفة علي سائر الأكوان * ثم خص العرب العاربة * بالبلاغة وفصاحة اللسان * فأنزل علي لسانها ومحاورة كلامها القرآن * أعجز ببلاغته وبراعته الإنس والجان * وأخرس عن فرسان البراعة والبلاغة والبيان * وأشكره جل وعلا شكر معترف أن كل مابه من نعمة إنما هى من الله * ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له * شهادة أهل الذوق والعيان * ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله قطب دائرة الزمان * وأفصح من نطق بالحق والتبيان * والصلاة والسلام على سيدنا محمد أساس الكائنات ومنبع سرها * الذي ببركته انفلقت أنوار الواصلين * صلاةً وسلاماً نستمد بهما من بحره الفياض * وعلى آله المقتبسين من مشكاة أنواره * وصحابته المغترفين من بحور علومه وأسراره * مادعا داع إلى الله * ولبى مشتاق إلى حضرة الله (وبعـد).

فيقول أفقر الخلق إلى مولاه الراجي عفوه وكرمه ورحماه -عبدالقادر بن أحمد الكوهني حققه الله بحقائق التقوى.. وجعله من المتخلقين بمراقبته في السر والنجوى.

(لما) وقفت على شرح الشيخ الكامل ❋ الأجل الواصل ❋ المربى بالحال والمقال ❋ الراسخ القدم ❋ فى مقامات السادات الرجال ❋ الآتى من فن التصوف بالفهوم الغريبة ❋ الشريف أبى العباس سيدى أحمد بن عجيبة ❋ متعه الله بالنظر إلى مولاه ❋ وجعل الفردوس الأعلى مستقره ومسواه على المقدمة (الأجرومية) الموضوعة فى مبادىء علم العربية.

(وجدته) رحمه الله قد جمع فيه بين شرح العبارة الراجعه إلى القواعد النحوية التى بها صلاح اللسان ❋ وشرح الإشارة الراجعه إلى المسائل التصوفية التى بها صلاح الجنان على وجه بديع غريب ❋ يستحسنه كل من له فى التصوف أدنى نصيب ❋ وذلك لما أوضع الله فى قلبه من العلوم الربانية ❋ وأفاض عليه من الفتوحات العرفانية وكل إناء ينضح بما فيه ❋ وكل ما حواه قلب الإنسان لابد أن يظهر على فيه ❋ وقبل الشروع في المقصود يجب التنبيه على مقصدين مهمين هما في نفاستهما والانتفاع بهما كالأثمد للعينين.. الأول: الاغتباط بهذا العلم الثاني: في بيان حمل الكلام علي معني لم يقصده المتكلم.

المقصد الاول: فيما يوجب الاغتباط بهذا العلم وأنه أحق مايوجه إليه الفكر والعزم ❋ يكفى فى ذلك أمران (أحدهما) أن التضلع من هذا العلم يقى صاحبه سوء الخاتمه ويحمله على التوبه والإنابة وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة فقد نقل الشيخ أبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب والإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه الإحياء عن بعض العارفين أنه قال من لم يكن له نصيب من هذا العلم أى علم الباطن أخاف عليه سوء الخاتمه وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصراً عل الكبائر وهو لا يشعر.

(ثانيهما) أنه سبب كل خير وفوز وفتح ونور وبه تكثر الحسنات ويرتقى بفضل الله إلى أعلى الدرجات لأن الاشتغال بطريق القوم سبب التصديق بهم وهو سبب محبتهم ومحبتهم تؤدى إلى الشوق إلى مجالستهم ومجالستهم تؤدى إلى النظر فى وجوههم وفى هذا من الفضل ما لا يخفى ❊

أما التصديق بطريقتهم فقد تضمن ولاية الله لعبده لقول إمام الطريق أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه التصديق بطريق الولاية ولاية ❊ وأما محبتهم فقد تضمنت الحشر معهم لقوله ﷺ (من أحب قوماً حشر معهم) رواه جابر بن عبدالله وقوله (المرء مع من أحب) وأما الشوق إلى مجالستهم فقد تضمن الاتصاف بسيرتهم لقوله ﷺ (المرء على دين خليله) رواه أبو هريرة لأن الطباع تسرق الطباع ❊ وأما النظر فى وجوههم على وجه المحبة فقد تضمن خير أجر عبادة العابدين لقوله ﷺ (فنظرة فى وجه أخ فى الله على شوق إليه خير من أجر من اعتكف في مسجدى هذا أربعين سنة).

ونقل النووى فى شرح المهذب عن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول استفدت من الصوفية فى مجالستهم شيئين: قولهم الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك وقولهم إن لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر ❊ قال الشيخ الشعرانى رضى الله تعالى عنه فانظركيف نقل الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ذلك عن الصوفية دون غيرهم تعرف بذلك مزيد خصوصيتهم ولو أن غيرهم كان على قدم الجد والاجتهاد كالصوفية لنقل ذلك عن أشياخه فى علم الظاهر قال وكان الطيبى صاحب حاشية الكشاف يقول لا ينبغى للعالم ولو تبحر فى العلم حتى صار واحد أهل زمانه أن ينفع بما علمه وإنما الواجب عليه لاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الصراط المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الحق فى سرائرهم من شدة صفاء باطنهم وليخلصوه من الأدناس وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات

الهوى وحظوظ نفسه الأمارة بالسوء حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه والاقتباس من مشكاة أنوار النبوة ❋ قال وقد بلغنا عن الإمام حجة الاسلام الغزالى رضى الله تعالى عنه أنه قال لما ترك الاشتغال بعلم النظر واشتغل بمجاهدة نفسه على مصطلح أهل الله ضيعنا عمرنا كله فى البطالة فيا خيبة مسعايا فى تلك الايام فقيل له ألست قد صرت بذلك حجة الاسلام فقال دعونا من هذه الترهات أما بلغكم قوله عليه الصلاة والسلام (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) رواه أبو هريرة قال وقد انكشف لي الآن أن جميع تلك الاسفار التى كنت أسافرها فى تحصيل العلوم وجمعها وكتابتها وتأليفها إنما كان لحب المحمدة والثناء بها عليّ بين الناس ولأقدم بذلك على أقرانى وأهل عصرى لا لله ولا لأجل أن أعمل أنا بها فقيل له أما كان أحد ينهاك من مشايخك عن شيء من هذه النقائص التى انكشفت لك الآن فقال لا بل ربما كان الشيخ يستغيب أقرانه فنقع معه تبعاً له ما عدا شيخنا إمام الحرمين رضى الله تعالى عنه فكان مجلسه مطهرا من ذكر نقائص الناس رحمه الله (وكان) سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله يقول قد قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعه التى لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم قال ومما يدلك على ذلك ما يقع على يدى القوم من الكرامات وفوارق العادات فانه فرغ عن قروبات الحق لهم ورضاه عنهم فلو كان العلم من غير عمل يرضى الحق تعالى كل الرضى لأجر الكرامات على أيدى أصاحبهم ولو لم يعملوا بعلمهم هيهات هيهات، وقال الشيخ الصقلى رحمه الله فى كتابه المسمى (بأنوار القلوب فى العلم الموهوب) كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك، والبحر الذي لا يترك.

وقال آخر: إذا رأيت من فتح له في التصديق بهذه الطريقة فبشره، وإذا رأيت من فتح له في الفهم فيه فأغتبطه، وإذا رأيت من فتح له في النظر فيه فعظمه، وإذا رأيت منتقداً عليه ففر منه واهجره، وما من علم إلا وقد يقع الإستغناء عنه في وقت ما إلا علم التصوف فلا يُستغني عنه في وقت من الأوقات ❋ وقال في القوت واتفقوا علي أنه علم الصديقين، وأن من كان له نصيب منه فهو من المقربين فوق درجة أصحاب اليمين، وقال القطب السيد عبدالله بن أبي بكر العيدروس قدس الله سره: عليك بحسن الظن في الصالحين وبحب محبهم وهو من أعلي المراتب وأجل المواهب، ولصاحبه أجمل حلية سابغة وعناية وتخصيص وهداية ❋ وسوء الظن مذموم مطلقاً.

وقال آخر: عليك بحسن الظن فإنه دليل علي نور البصيرة وإصلاح السريرة وكفي به شرفاً لحصول السعادات ونيل الدرجات، ومن فوائده فائدةً تندرج فيها كل فائدة، وهو أنه يورث حسن الخاتمة، وثمرته قد لا تظهر إلا عند خروج الروح فيفضي بصاحبه إلي السعادة المتضمنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر.

وعن بعضهم: أنه رأي النبي صلي الله تعالي عليه وسلم في المنام قال فقلت له أنا المتطفل في هذا العلم يا رسول الله، قال: إقرأ كلام القوم فإن المتطفل علي هذا العلم هو الولي، وأما العامل به فهو النجم الذي لا يُدرك.

وقال الجنيد رضي الله تعالي عنه: التصديق بعلمنا هذا ولاية وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غيرك فإن لم يصبها وابل فطل وقال أبو يزيد: من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له: يدعُ لك فإنه مجاب الدعوة.

ولسيدي علي بن وفا رضي الله تعالي عنه:

قـــوم أحـــبـــوا ربـهـــم ... وهـــو الـــــذي لـهـم أحـب
قـنـعـوا مـــن الـدنـيـــا بمـا ... وجـــدوا فـعـاشـوا فـي طـرب
تـــركــــوا مـتـاعـهـــا فلم ... يـمـسـهـمــوا فـيـهـــا نصب
ورضـــــوا بـــالأخـــري فمن ... رضـوانــــه أقـصـــي الإرب
زر حـيـهـــم تـحـيـــا بهم ... وتـجـد رضـــاك بـــلا تعب

وفي هذا القدر كفاية لمن تدبره وبعين الإنصاف لاحظه واعتبره.

المقصد الثاني:

في بيان أن الكلمة الواحدة الدالة علي معني مخصوص قد يأتي منها معاني كثيرة لا تحصي يفهم منها كل إنسان حسب حاله مع الله ومقامه.

(قال العارف بالله) سيدي عبدالكريم الجيلي رضي الله تعالي عنه في عينيته في بيان أرباب السماع، ومن خطه نقلت: أجمع أهل الله تعالي علي أن الفهم عن الله تعالي علي قدر مقام العبد عند الله، ولم يختلفوا في أن الكلمة الواحدة الدالة علي معني مخصوص قد يفهم منها العبد عن الله معاني كثيرة لا تُحصي * وكلهم قائلون أن المستمع لا ينبغي له أن يستمع إلا في الله أو في نبيه صلي الله تعالي عليه وسلم أو فيما يتعلق في طريقه إلي الله تعالي، ولا ينبغي له أن يقتصر علي ظاهر الألفاظ دون العبور إلي بواطن معانيها إلا إذا كانت الألفاظ ظاهرة المعني في المقصود، ويجب علي الفقير أن لا يستعمل التكلف في التأويل، بل يتوجه إلي الله تعالي بباطنه ويقبل ما يرد من ذلك الجناب بكليته، ولا يشتغل بألحان المعاني ولا بتحسينات الأغاني ولا يلتفت إلي الإعراب ولا إلي تصريف الألفاظ فيفوته بذلك لب المعاني، وينبغي له أن لا يسمع في شئ مما يتعلق بالدينا وبالآخرة كالحور والقصور، فإن ذلك راجع إلي شهوة النفس وزيادة الحظ.

وطريق الرجال بخلاف ذلك فاعلمه:

قال: واعلم أن المستمعين وإن اشتركوا في مجرد سماع الألفاظ فقد تباينوا في سماع معانيها، فرب كلمة موضوعة لمعني القرب قد فهم منها البُعد وبالعكس، علي قدر المقام والمستمع، ولكن أشرف الفهوم وأعلاها وأعزها وأحلاها وأنورها وأجلاها فهم يقربك إلي الله بأنواع الوسائل، ولا يحوجك في معرفته إلي الدلائل، فارفع همتك في فهم المعاني عما دلت عليه ظواهر الألفاظ والأغاني إلي ما يقتضيه حال الوقت لتكون ممن قال الله فيهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الزمر الآية: ١٨].

وقال العارف بالله سيدي مصطفي البكري رضي الله تعالي عنه في كتابه (العرائس القدسية): واعلم أيها الأخ المحتسي كأس الإفادة بلغك الله الحسني وأفادك الزيادة: أن عدم إعراب بعض السادة لا يُعد لحناً عند أهل الإرادة، لأن القوم لا يدورون إلا مع حقائق المعاني والمباني فلا يلحنون إلا في سماع غير المعاني لأسرار المثاني، وكيف يلحن الناطق باللسان الروحاني عن الفيض السبحاني، لكن أحدهم إذا أراد ان ينطق بالكلام الوضيع عن المعني الرفيع المحتوي علي المقصود الشبيع، وكان من حقه عدم الرفع تقابله حقيقته وتقول له أني لا أستطيع الرفع فينطق بالكلام مخفوضاً فيظنه السامع خطأ، وما خطأ نحو الخطأ لكنه حق الحقيقة له أعطي وبالعكس، وربما نصب المكسور لما تعطيه حقيقته من الفتح والإنتصاب للحق ويكسر المنصوب إذا أعطته حقيقته أنه بالكسر أحق، ويسكن المتحرك إذا أعطته حقيقته السكون أو الجزم بالأمر الذي به سكون، ويحرك الساكن باعتبار ما تعطيه حقائق الأشخاص والأمكنة والأزمنة والألفاظ والمعاني المنخفضة أو المرفوعة الحسان.

وربما ألزم الأسماء الخمسة الألف والياء والواو لا علي لغة من يجيز ذلك بل لأمر ورد من حيث الحقائق فأوجب ما هنالك * وقد سمعت الجد الأعلي الصديق

الأكبر رضي الله تعالي عنه في مبشرة ذكرتها في الرحلة الرومية وقد طرق الباب علي خير البرية وسأله أحد الخدام من الطارق: فقال أبا بكر، فلاح في هذا المقام حكمة استعماله هذه اللغة مع أن الفصيح استعمال الواو.

أنه فتح لإشارة حصول أن يُفتح له ذلك الباب ونصب لانتصابه في مقام الخلافة بعد الشامخ الاطناب، وكان الفتح أخف الحركات وألطفها والباب المطروق أسمي الأبواب وأشرفها ولتحقق أدبه بانت له ﵁ لوامع أنوارها، وجمعت له بطوالع سواطع أسرارها، فما وسعه إلا موافقة مقتضاها والمبادرة لجامع شتيتها، ولقد أخبرني الكاشف عن وجوه الغرائب والراشف رشائف العجائب أنه يري الفاعل فينطق به مفعولاً، فيقول الجاهل ليس هذا إدراكاً ومعقولاً ومع ذلك فما جهل وما أخطأ ما تعطيه الحقيقة، لكن المحجوب يخطئه لعدم شهود الأوجه الرفيعة، ولو رام غير ما تعطيه الحقائق لم يمكنه لأن دواعي الحق لا تعصي، ومن عصاها قرع بالعصا.

قال تاج الدين أبو الفضل بن عطاء الله رضي الله تعالي عنه في لطائف المنن: أخبرني الشيخ الإمام مفتي الآنام تقي الدين محمد بن علي القشيري قال:

كان ببغداد فقيه يُقال له الجوزي يقرأ اثني عشر علماً فخرج يوماً قاصداً إلي مدرسته، فسمع منشداً ينشد:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان علي الصغار

فخرج هائماً علي وجهه حتي أتي مكة فلم يزل مجاورا بها حتي مات.

وقرئ علي الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله تعالي عنه قول القائل:

لو كان لي سعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح إفطارا

الـراح شئ عجيب أنـت شاربـه فاشرب ولو حملتك الـراح أوزارا
يا من يلوم علي صهباء صافيـة كن في الجنان ودعني أسكن النار

فقال رجل هناك: لا تجوز قراءة هذه الأبيات، فقال الشيخ مكين الدين للقارئ: اقرأ هذا رجل محجوب * ويكفيك في هذا أن ثلاثة سمعوا منادياً يقول: (يا سعتربري) ففهم كل منهم مخاطبة عن الله تعالي يخاطب بها في سره،فسمع واحداً (اسعَ تر بري) وسمع الآخر (الساعة تري بري) وسمع الثالث (ما أوسع بري) فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين، كما قال سبحانه وتعالي: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [سورة الرعد الآية: ٤]، وقال سبحانه وتعالي: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ « [سورة البقرة الآية: ٦٠].

فأما الذي سمع (اسعَ ترَ بري) فمريد دل علي النهوض إلي الله بالأعمال يستقبل الطريق بالجد فقيل له: اسعَ إلينا بصدق المعاملة ترَ برّنا بوجود المواصلة.

وأما الثاني: فكان سالكاً إلي الله طاولته الأوقات فخاف أن تفوته المواصلة فقيل له ترويحاً علي قلبه لما أحرقه نار الشغف (الساعة ترَ بري).

وأما الآخر: فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسمع (ما أوسع بري) وقال الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله تعالي عنه:

دعانا بعض الفقراء إلي دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من مشايخ الصوفية، فقدم الطعام ففجرت الأوعية فهناك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول ولم يستعمل بعد فغرف فيه رب المنزل الطعام والجماعة يأكلون، وإذا الوعاء يقول منذ أكرمني الله بأكل هؤلاء السادات مني لا أرضي لنفسي أن أكون بعد ذلك محلاً للأذي، ثم انكسر نصفين.

قال الشيخ محي الدين: فقلت للجمع: سمعتم ما قال الوعاء، قالوا نعم، فقلت: ما سمعتم؟، فأعادوا القول الذي تقدم، فقلت: قال قولاً غير ذلك، قالوا: وما هو، قلت: (كذلك قلوبكم منذ أكرمها الله بالإيمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلاً لنجاسة المعصية وحب الدنيا) جعلنا الله وإياك من أولي الفهم عنه والتقي منه آمين انتهي...

وقال الشيخ سيدي حسين بن عبدالشكور في فيوضاته لايحة القلوب شارحة علماء الباطن نفعنا الله بهم، إذا سمعوا الكلام القديم والذكر الحكيم لا يقفون مع ارتباط آياته ولا يتوقفون مع شروطه واستثناآته بل يعملون بآية آية أو كلمة لاح لهم ثناها وانكشف لهم هداها وذلك دأبهم أيضاً في غير القرآن العظيم والبرهان القديم، فما بالك بكلام رب العالمين، فكم سمعوا كلمة من آحاد الناس فكانت في طريقتهم كالميقاس لشهودهم، تلك لكلمة من الله الذي أنطق كل شئ والوجود معه كالفئ في الهواء أو الغيم فيستخرجون من الآية الواحدة ولو قَلّت أحكاماً رائقة، ومسائل فائقة بحسب كلماتها وكمالاتها هذا من حيث ظاهر العبارة لا من حيث باطن الإشارة، فبكم يكون إذ ذاك من وجوه عديدة واعتبارات حميدة كالأخذ من أحرف الكلمة علوماً ومن حركاتها وسكناتها فهوماً انتهي...

هذا ما تيسر بعون الله تعالي نقله وجمعه ليعم بتوفيق الله للمتوجهين نفعه، ولنرجع إلي المقصود.

فأهم ما يعتني به الإنسان بعد إصلاح دينه بتحقيق الإيمان والإسلام إصلاح لسانه من اللحن في الكلام * وذلك بالتغلغل في علم العربية واللغة * إذ بذلك يتقوي علي فهم كتابه العزيز * وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأذكي التسليم * اللذان قام بهما الدين * واستمر بقاؤه علي المسلمين * فلولا هذا العلم الشريف لدخل في السنة المحمدية التغيير والتحريف * ولوقع الخلل في كتابه الحكيم * فتعين حفظ هذا

العلم وتحصيله علي كل عاقل لبيب ❊ ثم يجب علي العاقل بعد إصلاح لسانه أن يسعي في إصلاح جنانه، وذلك بتصفيته من الرذائل وتحليته بأنواع الفضائل ليتأهل بذلك قلبه لإشراق أنوار حقائق التوحيد ودقائق أسرار التفريد ❊ وإصلاح اللسان دون إصلاح الجنان فسق وضلال ❊ وإصلاح الجنان دون إصلاح اللسان كمال دون كمال ❊ وإصلاحهما معاً كمال الكمال ولله در سيبويه ﵁ حيث يقول:

لسان فصيح معرب في كلامه فيا ليته من حسرة العرض يسلم
وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقي وما ضر ذا التقوي لسان معجم

وقال الشيخ الصالح الفقيه الميموني رضي الله تعالي عنه: وأقبح من القبيح أن يتعلم الإنسان أو يعلم إصلاح اللسان ولا يتعلم أو يعلم إصلاح القلب الذي هو محل نظر الرب.

والنحو علي قسمين: نحو لسان الفم، ونحو القلب، ومعرفة نحو القلب عند العقلاء آكد وأنفع من معرفة نحو اللسان بدليل أننا نجد من لا يحسن التلفظ بكلام العرب فيلحن بكلامه برفع المنصوب وينصب المرفوع ويكون في حاله متخلقاً بالكتاب والسنة، فهذا هو النحو القلبي، وهو مرضي عند الله ورسوله، ويوجد من يعرف نحو لسان الفم غير متخلق بالكتاب والسنة وهذا هو الغالب في زماننا هذا، وهو مذموم عند الله ورسوله ولذلك قال صلي الله تعالي عليه وسلم: (فساق أمتي قراؤها) رواه عبدالله بن عمرو، وقال أيضا: (العلم علمان: علم اللسان فذلك حجة الله علي ابن آدم، وعلم القلب فذلك العلم النافع) رواه يوسف بن عطية عن قتادة انتهي...

وعلم القلب هو اليقين الكبير ومعرفة الله بنعت العيان وهذا هو النحو القلبي وهو فرض عين علي كل مسلم أعني علاج القلب من الأمراض كحب الدنيا الذي هو رأس الخطايا وهم الرزق وخوف الخلق وغير ذلك من الأمراض التي تعوق

عن معرفة الحق وشهوده، وهذا النحو القلبي تسميه الصوفية المحو بالميم لأنه يمحو من القلب كل ما سوي الله وهذا العلم هو محط رحالهم، ومجال أفكارهم قد استغنوا به عن جميع العلوم رضي الله تعالي عنهم.

قيل للولي الكبير سيدي أحمد بن موسي: هل قرأت شيئا من النحو، قال: قرأت بيتين من الألفية هما قوله:

فما لنا إلا اتباع أحمدا، وقوله فما أبيح افعل ودع ما لم يبح.

وقال شيخ شيخنا ومادة طريقتنا مولاي العربي رضي الله تعالي عنه: ما عرفت من النحو إلا إعراب قوله تعالي: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة النور الآية: ٣٢] إِنْ شرط، ويغنهم جواب الشرط، والمقصود بالغني الغني الأكبر فيكون خطابا للمتوجهين علي طريق أهل الإشارة.

هذه المقدمة الأجرومية المباركة الميمونة التي هي أجل ما صنف في علم النحو للمبتدى وفتح به على المنتهى قد عم نفعها المشارق والمغارب وتلقاها بالقبول كل سالك وطالب * فدل ذلك على خلوص نية مؤلفها وصلاحه * وقد أردت بعون الله أن أضع عليها شرحاً متوسطاً متوشحاً بنكت عجيبة وقل أن توجد في غيره من المطولات وإشارات صوفية غريبة وقل أن يغوص عليها من له شأوٌ في علم الأذواق والإشارات وسميته الفتوحات القدسية فى شرح المقدمة الأجرومية.

و كل علم لا ينبغي الشروع فيه حتى يعلم الخائض فيه حدّه وموضوعه وواضعه واستمداده وسائر مبادئه العشر التي أشار إليها الفقيه العالم المحرر سيدي أحمد بن زكري التلمساني بقوله:

الحد والموضوع ثم الواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصور المسائل الفضيلة ... ونسبته فائدة جليلة
حق على طالب علم أن يُحط ... بفهم ذي العشرة حيزها ينط

أما حدّه: فهو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، أو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءاً.

وموضوعه: الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف، لأنه يبحث عنها من حيث إعرابها وبناؤها وإفرادها وتركيبها.

وواضعه: أمير المؤمنين سيدنا على كرم الله وجهه بسبب شكوي أبي الأسود الدؤلي لحن بناته، فقال له يا أبا الأسود اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم « الكلمة اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف موصول بينهما، وانحُ على هذا النحو، أي أنسج على هذا الشبه، ولهذا سمى علم النحو نحواً وهو من اطلاق المصدر على المفعول، فالنحو بمعنى المنحو كالنسج بمعنى المنسوج، واعلم أن إعراب الكلام كان للعرب سجية لا يقدرون على اللحن، فلما ظهر الإسلام ونكحت الصحابة بنات العجم اختلطت الألسن فكادت العربية تتلاشى، فوضع على كرم الله وجهه علم النحو.

وقال الفخر الرازي في كتابه المحرر فى علم النحو: رسم على كرم الله وجهه لأبى الأسود باب إن وباب الإضافة ثم صنف أبو الأسود باب العطف وباب النعت ثم صنف باب التعجب وباب الاستفهام.

وقيل واضعه أبو الأسود من غير واسطة، وقيل أول من وضعه نصر بن عاصم، وقيل عبدالرحمن ابن هرمز.

والمشهور الأول وتقدم وجه تسميته بالنحو، والمتصف به نحويّ، ويجمع علي نحويين، وأما نحات فجمع ناحٍ كقاضٍ وقضاة.

واستمداده: من كلام العرب نظماً ونثراً.

وحكمه: فرض الكفاية، لأنه وسيلة لحفظ العلم ومفتاحه إلا من تصدي لتفسير كلام الله تعالي أو كلام رسوله ﷺ، فيكون فى حقه فرض عين، لقوله عليه الصلاة والسلام: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري ومسلم، والجاهل ملحق بالعامد فى كثير من الأحكام، وقال الإمام الرازي فى المحصّل: اعلم أن معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض كفاية لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع، ومعرفة الأحكام دون معرفة أدلتها مستحيل فلابد من أدلتها، والأدلة راجعة إلي الكتاب والسنة وهما واردان بلغة العرب فقد توقف العلم بالأحكام على الأدلة، ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة والنحو، وما يتوقف على الواجب المطلق فهو واجب.

وقال عز الدين بن عبد السلام: من أنواع الواجبات الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وذلك لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتي حفظها إلا بذلك، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب.

وتصور مسائله: هي معرفة كون الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً والمضارع معرباً والماضي والأمر مبنيان والضمير لا يعود علي ما بعده إلا في مسائل، وقس علي ذلك من قواعده.

وفضيلته: معرفة كلام الله تعالي وكلام رسول الله ﷺ وصونهما من اللحن والتحريف، وناهيك به شرفاً، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأدّاها كما سمعها، فربّ مبلغ أوعي من سامع) رواه ابن مسعود، ومعني نضّر: حسّن وبهّج، وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة، وعن علي كرم الله وجهه:

النحو يصلح من لسان الألكن — والمرء تكرمه إذا لم يلحن
فإذا طلبت من العلوم أجلها — فأجلها منها مقيم الألسن

وكان عمر رضي الله عنه يضرب ولده علي اللحن، وعن الحسن البصري رضي الله عنه: من لحن في القرآن فقد كذب علي الله.

وقال أبو حيّان في قصيدة له بعد كلام:

وقد قصرت أعمارنا وعلومنا — يطول علينا حصرها وتكابده
وفي كلها خير ولكن أصلها — هو النحو فاحذر من جهول يعانده
به يعرف القرآن والسنة اللذان — هما أصل دين الله من أنت عابده

ونسبته: من العلوم الجزءية لأنه جزئي لها وآلة توصل إليها، ولا علم إلا وهو محتاج إليه كمالاً أو شرطاً كما تقدم.

وفائدته: أي غايته: مَلَكَة يحترز بها من الخطأ في النطق حتي لا يخرج عن القواعد العربية في الغالب.

قال المؤلف رحمه الله تعالي: (بسم الله الرحمن الرحيم لم يتكلم في الأصل علي ما يتعلق بها بطريق الإشارة فنقول قد ورد في الخبر أن كل ما في الكتب المنزلة فهو في القرآن وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة وكل ما في الفاتحة فهو في اسم الله وورد كل ما في بسم الله فهو في الباء وكل ما في الباء فهو في النقطة التي تحت الباء، وقال بعض العارفين: بسم الله من العارف بمنزلة كن من الله * وقال سيدي حسين بن عبدالشكور المدني رضي الله تعالي عنه في كتابه (الفيوضات الحسني من مشاهدة الحبيب الأثني) الكلام علي البسملة لا تفي به عبارة ولا تقوم به إشارة، والقول البليغ أنها مفتاح أسرار الغيب والشهادة في كل عبادة، وعادة فيها يفتق رتق المعاني لكل معاني، وبها قيام المباني في هذه الآواني وبها جلاء الأنوار في مجال الأطوار وبها ظهور هذا الكون الظاهر وعوالمه وبطون كون الباطن في معالمه، فلا ذرة إلا وسرها سارٍ فيها، ولا ذروة إلا وفيضها في بواديها وخوافيها وهي براعة الاستهلال الجامعة لما كان أو يكون في الظواهر والبطون، وهو العنوان الشامل

والبرهان الكامل وافتتح الله بها كتابه المكنون الحاوي لسره المخزون وهي حاوية لما فيه من العلوم التي منها كل منطوق ومفهوم، فهي المنطوية علي تفاصيل ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام الآية: ٣٨]، والمشتملة علي تفاصيل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر الآية: ٢١]، وجعلها الله سبحانه مفتاح أسرار كل سورة ومصباح أنوار كل سورة (إذ كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر) وكل ما كان ذا بال فهي مقولة بالحال أو بالمقال لأهل الكمال فطوبي لمن عرف شانها وحفظها أو صانها وأعطاها حق إمامتها في محراب استقامتها ومسجد إقامتها، إذ هي إمام الكلمات القرآنية والكائنات الحسية والمعنوية فمن لا إمام له لا مقام له، قال الله تعالي:

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [سورة الإسراء الآية: ٧١]، فمن ليس له إمام من الأعمال فهو أبتر فلا يحظي بدعاء المتعال والمقصود وجودها حساً ومعني لا صورة ومبني فإن كان حرف منها يطلبك حقه ليعطيك حقك فأعطِ تُعطَ، وكف عمن تخلف وأبطا وما هي إلا المفتاح الفاتح لكل باب من علوم الكتاب وهي موصلة الطلاب إلي المطلوب المستطاب وما قدمها العظيم إلا لما فيها من السر العميم والشأن العظيم إذ هوا العليم الحكيم فاقتدِ بالحكيم فى ذلك وقدمه حالا ومآلا فى كل أعمالك ولا تحرم القلب واللسان نصيبهما من المعانى والبيان فلا مبنى إلا وله معنى ولكل مجيب نصيب من ذلك السر العجيب على قدر إجابته وعلى نجائب إنابته فأجب منيبا مجيبا وأنت مستجيبا لتنل عجيبا وتوجه إليها بكلك فى عقدك وحلك تفز بمطالبك فى جميع مذاهبك وتعم بمواهبك عوالم قلبك وقوالبك فنحمدك اللهم على هذه المنحة الكاملة والموهبه الشاملة ونسألك اللهم أن تغمدنا بأسرارها وأن تغمرنا بأنوارها وتجعلنا قائمين بحقوق كمالها فى مشاهدة جمالها وجلالها وأرشدنا اللهم بفهم علو حروفها فى جميع صنوفها انتهى.

(حكى) أن الشبلي رضى الله عنه قال لقيت جارية حبشية وهى مولهة تجدّ وتُسرع في مشيها، فقلت لها: يا أمة الله رفقاً عليك والطفي بنفسك، فقالت: هُو هُو، فقلت لها: من أين أقبلتِ؟ فقالت: من هو، فقلت لها: وإلي أين تريدين؟ فقالت: إلي هو، فقلت لها: ما تريدين؟ قالت: هو، فقلت لها: ما اسمك؟ فقالت: هو، فقلت لها: كم تذكرين؟ قالت: هو وقالت لا يفتر لساني عن ذكر هو حتي ألقي هو ثم قالت:

وحرمة الودّ ما لي عنكم عوض ... وليس لي في سواكم بعدكم غرض
ومن حديثي بكم قالوا بها مرض ... فقلت لا زال عني ذلك المرض

قال الشبلي رحمه الله تعالي: فقلت لها: يا أَمَةَ الله ما تعنين بقولك هو؟

آلله تريدين، قال: فلما سمعت ذكر الله شهقت شهقة فاضت منها نفسها رحمة الله عليها.

قال: فأردت أن آخذ في تجهيزها ودفنها فنوديت يا شبلي من هام بحبنا * وتاه في طلبنا * وتوله بذكرنا * ومات باسمنا * اتركه لنا *فديته علينا، قال الشبلي: فالتفت أنظر من المنادي والمتكلم فسترت عني * وحجبت عنها * فلم أَدْرِ أرفعت أم دفنت؟ رحمه الله تعالي بمنّه وغمرنا بفضله.

قال المصنف رحمه الله تعالي: (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع)

وأقسامه ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعني.

فالاسم يعرف بالخفض، والتنوين، ودخول الألف واللام.

وحروف الخفض وهي: من، وإلي، وعن، وعلي، وفي، ورب، والباء، والكاف، واللام.

وحروف القسم وهي: الواو، والباء، والتاء.

والفعل يعرف: بقد، والسين، وسوف، وتاء التأنيث الساكنة.

والحرف: ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل.

إشـــارة:

أي الكلام عند الأكياس هو اللفظ المركب من المقال والحال بأن يكون المتكلم به ممن ينهض حاله ويدل علي الله مقاله المفيد في قلوب المستمعين إما علوماً أو أنواراً أو أسراراً، وفي الحكم تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث صار التنوير وصل التعبير.

فيفيد بمجرد وضعه في القلوب نهوضاً واشتياقاً إلي الحضرة القدسية أو خوفاً ذاجراً عن المعصية ❋ والحاصل أن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب فيفيد إما خوفاً مزعجاً أو شوقاً مقلقاً، وإذا خرج من اللسان كان حدّه الآذان.

أو نقول الكلام عند الحكماء هو اللفظ المركب من القول والعمل، فإذا كان الكلام خالياً عن العمل كان غير مفيد في القلوب شيئاً، لكون الحال يكذب المقال، لأن المتكلم الواعظ إذا عمل أولاً ثم تكلم ووعظ نفع قوله وأنهض حاله.

وإلا كان ضرباً في حديد بارد، وفي ذلك يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هل لا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضني ... كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تلقح بالرشاد عقولنا ... نصحاً وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدي ... بالوعظ منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وإن شئت قلت الكلام الذي يعود بالنفع علي صاحبه هو اللفظ المركب من القلب واللسان المفيد بوضعه في القلب تنويراً أو ترقيةً وشهوداً وهو الذكر الحقيقي باللسان والقلب، أو بالقلب والروح أو بالروح والسر، وهو دوام الشهود أو المفيد أجراً جزيلاً وإحساناً جميلاً، وهو ذكر اللسان والقلب إذا كان بلا شيخ أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وما سوي ذلك لغوٌ وهذر ولهو وتضييع العمر والاشتغال بما لا يعني، قال الله تعالي: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [سورة النساء الآية: ١١٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) رواه أبوهريرة.

فالكلام كله عليك لا لك إلا ذكر الله وما والاه، وفي الحديث: (رحم الله عبداً سكت فسلم، أو تكلم فغنم) رواه ابن لهيعة.

ويرحم الله القائل:

لو قدر الكلام عند الناس ... من فضة بيضاء في القياس

إذا لكان الصمت من أعلي الذهب ... فافهم هداك الله آداب الطلب

وسمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه **يقول**: الفقير الصادق بكلمة واحدة يقضي ألف حاجة، والفقير الكاذب يتكلم بألف كلمة ولا يقضي حاجة واحدة.

وقلت في بعض الرسائل لبعض الإخوان بعد كلام طالب الوصول لا تجده إلا ذاكراً أو متفكراً أو تالياً أو مصلياً أو مذكراً أو مستمعاً * أوقاته معمورة * وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة * إن تكلم فبذكر الله أو بما يقربه إلي الله، وإن صمت فعن الغيبة في الله يجول في عظمة الله، أو فيما يقربه إلي الله، وإن تحرك فبالله وإلي الله، وإن سكن فمع الله مستأنساً بالله مشتغلاً بربه غائباً عن نفسه ليس له عن نفسه

أخبار، ولا مع غير الله قرار، أنسه بالله * ومجالسته مع الله * التقوي زاده والقناعة رفاده * ومن بحر العرفان استمداده * قد استغني بالله عما سواه * ورفض وراء ظهره دنياه وهواه * قد اتخذ الله صاحباً * وترك الناس جانباً * وفي الصمت عن غير الله حكم وأسرار * ولا يذوقها إلا من استعمله الله وتخلق بالله * والله أعلم.

وأقسامه ثلاثة: (اسم وفعل وحرف جاء لمعني)، وأقسام الكلام الذي يصل به العبد إلي حضرة مولاه ثلاثة:

اسم: أي ذكر الاسم المفرد وهو الله، قال الله تعالي: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (المزمل: ٨) أي انقطع إليه انقطاعاً كلياً ليلاً ونهاراً.

فالاسم المفرد: هو سلطان الأسماء وهو اسم الله الأعظم فلا يزال المريد يذكره بلسانه، ويهتز به حتي يمتزج بلحمه ودمه وتسري أنواره في كلياته وجزئياته فيتحد الذاكر والمذكور فينتقل الذكر إلي القلب ثم إلي الروح ثم إلي السر، فحينئذ يخرس اللسان، ويحصل علي محل الشهود والعيان فيصير ذكر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب، حسنات الأبرار سيئات المقربين، وفي ذلك يقول الشاعر:

ما إن ذكرتك إلا همَّ يقلقني قلبي وروحي وسري عند ذكراكا
حتي كأن رقيباً منك يهتفني إياك ويحك والتذكار إياكا
أما تري الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناكا

فالذكر منشور الولاية ولابد منه في البداية والنهاية وهو باب عظيم للدخول علي الله.

كما قال الشاعر:

الذكر باب عظيم أنت داخله فاجعل لمنزلة الأنفاس حراسا

والثاني الفعل: والمقصود به مجاهدة النفس في خرق عوائدها، كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد، فيخرق كثرة الكلام بالصمت، وكثرة

النوم بالسهر، وكثرة الأكل بالجوع، وأهم العوائد الشاقة علي النفس حب الرياسة والجاه والمال فيخرقها بالذل والفقر والنزول بها إلي أرض الخمول * ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه، والمقصود بالخمول كل ما يُسقط جاهها ويحط قدرها عند الناس، فقد قالوا كلما سقط المريد من عين الخلق عظم في عين الحق وبالعكس، فإذا صار الذل والضعة والخمول عنده أحلي من العز فقد ملك نفسه ومن ملك نفسه ملك الوجود بأسره ووصل إلي حضرة ربه * قال بعضهم سير السائرين إلي الظفر بنفوسهم فإن ظفروا بها وصلوا انتهي.

والثالث الحرف: والمقصود به الهمة والقريحة وطلب الوصول إلي الله تعالي لهذا الحرف لابد منه في البداية، فإذا وصل إلي الله حذفه، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: رضي الله تعالي عنه (إذا كان ولابد من الحرف فحرف بينك وبين الله خير من حرف يكون بينك وبين الخلق، والمقصود بالحرف الطمع في الوصول إلي مرتبة من المراتب.

فالحرف النوراني: هو الطمع في الوصول إلي الله أو إلي رضوانه أو إلي كرامة من كرامات أوليائه أو إلي نعيمه الدائم.

والحرف الظلماني: هو الطمع في الوصول إلي حظ من حظوظ النفس العاجلة كالرياسة والتعظيم والجاه وحب الدنيا وغير ذلك من المقاصد الدنيوية التي يقصدها أهل الهمم الدنية.

والحاصل من الإشارة أنها ترجع إلي الأقسام الثلاثة التي يقطعها المريد، وهي الشريعة، والطريقة، والحقيقة.

فالشريعة: أقواله عليه الصلاة والسلام، والطريقة: أفعاله، والحقيقة: أحواله، قال صلي الله تعالي عليه وسلم: (الشريعة مقالي والطريقة فعالي والحقيقة حالي). هذا

الأثر لم أجده فيما لدىّ من مراجع وإنما وجد نصه في وشرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين.

فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده، فالشريعة جلها أقوال والطريقة جلها أفعال أي مجاهدة ومكابدة، والحقيقة جلها أخلاق وأذواق، إلي هذا ترجع الإشارة بقوله اسم وفعل وحرف كما تقدم.

فالشريعة للعوام والطريقة للخواص والحقيقة لخواص الخواص.

فالعوام اختصروا علي التمسك بالشريعة الظاهرة، والخواص تمسكوا بالشريعة في الظاهر و زادوا السلوك في الطريق إلي الحقيقة بتهذيب النفوس وتطهير القلوب وهم الصائرون من المريدين، وخواص الخواص تمسكوا بالشريعة في الظاهر وبالطريقة في الباطن فأشرقت عليهم أنوار الحقائق فتخلقوا بأخلاقه عليه الصلاة والسلام، وورثوا حاله ومقاله، فهم الورثة الحقيقيون * ورثوا التركة بتمامها أقواله وأفعاله وأخلاقه * وإلي هذا أشار صاحب المباحث حيث قال:

تبعه العالم في الأقوال　　والعابد الناسك في الأفعال

وفيهما الصوفي في السباق　　لكنه قد زاد في الأخلاق

وذكر القشيري في تفسير قوله تعالي: « فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ « [سورة فاطر الآية: ٣٢]، قال: إن الظالم لنفسه: المتمسك بأقواله عليه الصلاة والسلام.

والمقتصد أي المتوسط: المتمسك بأقواله وأفعاله ﷺ.

والسابق بالخيرات: المتمسك بأخلاقه عليه الصلاة والسلام أي المتمسك بأخلاقه بعد التمسك بأقواله وأفعاله والله تعالي أعلم.

فالإسم يعرف بالخفض والتنوين ودخول الألف واللام وحروف الخفض.

فالإسم الذي تذكره وتهتز به وهو الله جل جلاله، لأن الإسم عين المسمي يعرف بالخفض وهو التحقق بالذل والسفليات، قال الشاعر:

تذلل لمن تهوي فليس الهوي سهل   إذا رضي المحبوب صح لك الوصل

وقال الآخر:

تذلل لمن تهـوي لتكسب عـزة   فكم عزة قد نالها المـرء بالـذل

إذا كان من تهوي عزيزاً ولم تكن   ذليلاً له فأقر السلام علي الوصل

وقال الشيخ سيدي أبو الحسن رضي الله تعالي عنه: اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتي عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتي وجدوا.

والمقصود هنا بالذل هو ذل النفس في طلب الحق يظهر ذلك بين الأقران لتموت النفس سريعاً فتحيا الروح بمعرفة الحق وشهوده وذلك كالمشي بالخفض وتعرية الرأس في الموضع الذي يراه الناس، وكالسؤال في الحوانيت والأسواق فهذا هو الذل الذي يعقبه العز بالله تعالي، وتحيا به الروح بشهود مولاها، ويعرف به الله حق معرفته وهي معرفة العيان لا معرفة الدليل والبرهان وبالله التوفيق، (ويعرف الله تعالي أيضاً بالتنوين) أما تنوين التمكين: بأن يمكنه الله تعالي من محبة شيخ كامل عارف بالله ثم يمكنه من خدمته وصحبته ثم يمكنه من شهود الحق ومعرفته ❋ وأما تنوين التنكير: بأن يتنكر من جميع الناس ويفر منهم حتي يأتنس بالله، فقد قال بعض الصوفية في شأن من دخل معهم: تنكر لمن تعرف ولا تتعرف لمن لا تعرف ❋ وفي الحكم مهما أوحشك من خلقه فاعلم أنه أراد أن يؤنسك به، وقال أيضاً ❋ ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة ❋ وأما تنوين العوض: بأن يعوض الغني بالفقر والعز بالذل والخلطة بالعزلة، وهكذا يبدل الأشياء القبيحة بأضدادها،

وأما تنوين المقابلة: فيقابل عز الربوبية بذل العبودية تحقق بوصفك يمدك بوصفه وقوته، تحقق بفقرك يمدك بغناه، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته.. ولنا في هذا المعني شعر:

تحقق بوصف الفقر في كل لحظة تفز بالغني والقلب بالسر يعمر
وإن تردن بسطا المواهب عاجلاً ففي فاقة ريح المواهب تنشر
وإن تردن عزاً منيعاً مؤبداً ففي الذل يخفي العز حيناً ويظهر
وإن تردن رفعاً لقدرك عاليا ففي وضعك النفس الدنية يحضر
وإن تردن العرفان فافن عن الوري وعن كل مطلوب سوي الحق تظفر

تري الحق في أشياء حين تلطفت ففي كل موجود حبيبي ظاهر

ويقابل أيضاً الأوصاف المذمومة بالأوصاف المحمودة: كالبخل بالسخاء، والتكبر بالتواضع، والحقد والحسد بسلامة الصدر، والقلق والحدة بالرزانة والتأني، وهكذا يقابل المساوئ بالمحاسن، ويقابل الداء بالدواء، (و) يعرف أيضاً (بدخول الألف واللام) وهو إشارة إلي دخول الحضرة القدسية فإنها معروفة عند العارفين ومعرفتها بتعريف الله إياها علي ألسنة الرسل وخلفائهم وهي محل (المشاهدة) والمكالمة والمواجهة والمكافحة، ودخولها يكون بتحقيق ما تقدم من العلامات، ويعرف الحق تعالي أيضاً الذي هو مسمي الأسماء بحروف الخفض أي بأسباب الخفض وهي: كل ما يخفض النفس وينزل بها إلي أرض التواضع والسفليات كما تقدم والله أعلم (فمن) إشارة إلي ابتداء السير (وإلي) إشارة إلي انتهائه، فالمريد بدايته المجاهدة ونهاياته هي المشاهدة، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهاياته، فإشراق البداية هي القريحة الوقادة والكد والجد في مجاهدة النفس وعمارة الأوقات، وإشراق النهاية هو دوام شهود الحق والعكوف في حضرة القدس ومحل الأنس.

والناس ثلاثة أقسام:

١ ـ قوم قنعوا بمقام الإيمان ولم ترفع همتهم إلي طلب العيان وهؤلاء لا سير لهم فهم عوام المسلمين.

٢ ـ و قوم تعلقت همتهم بالوصول واستعملوا شيئاً من عبادة الظاهر لكن لم يظفروا بشيخ التربية أو لم يقدروا علي صحبته ولم تسمح نفوسهم بالتجريد وخرق العوائد وهؤلاء صالحون أبرار وهم أيضاً من عامة أهل اليمين سواء كانوا من الزهاد أو العباد أو العلماء الأنجاد لأنهم حيث لم يخرقوا عوائد أنفسهم لم يتحقق سيرهم (لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد).

٣ ـ وقوم ارتفعت هممهم إلي الوصول وظفروا بشيخ التربية وقوّاهم الله تعالي علي صحبته وخدمته وتجردوا من عوائدهم فأشرقت بدايتهم بالمجاهدة والمكابدة وأشرقت نهايتهم بدوام المشاهدة، فهؤلاء من خاصة الخاصة وهم المقربون السابقون جعلنا الله من خواصهم آمين.

(وعن) تشير إلي المجاوزة عن العلائق والشواغل إذ لا يصح السير مع العلائق والشواغل، وكان شيخنا البوزيدي رضي الله تعالي عنه يقول: إن شئتم أقسم لكم أنه لا يدخل عالم الملكوت من في قلبه علقة، وقال الله تعالي: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ [سورة الأنعام الآية ٩٤] أي جئتم إلي حضرتنا فرادي من علائق القلب وشواغله، وقال الله تعالي: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ [سورة الضحي الآية: ٦] أي يتيماً من السوي فآواك إلي حضرته، وقال الشاعر:

فاز من خلي الشواغل ولمولاه توجه

(وعلي) إشارة إلي الإستعلاء علي النفس بالقهر والغلبة وعلي السير بالنصر والرعاية وعلي الهداية بالتمكين والعناية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٥].

(وفي) إشارة إلي دخول الحضرة والتمكن فيها تمكن المظروف في الظرف فتصير مأواه ومُعَشِشَ قلبه فيها يسكن وإليها يأوي، ويشير أيضاً إلي الذهاب في الله قال تعالي حكاية عن خليله عليه السلام ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الصافات الآية: ٩٩] أي إلي الذهاب فيه بعد الذهاب إليه وهو الاستغراق في بحر الأحدية، فالذهاب إليه حال السائرين والذهاب فيه حال الواصلين.

(و رب) إشارة إلي قلة وجود أهل الخصوصية قال الله تعالي: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [سورة ص الآية: ٢٤]، وقال الله تعالي: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ الآية: ١٣] فهم اكسير الوجود ومن ظفر بهم ظفر بالغني الأكبر والسر الأبهر أو إلي كثرتهم لمن سبقت لهم العناية وحسن الظن بالله وبعباده، (والباء) إشارة إلي استعانتهم بالله في سيرهم وظفرهم بالله في وصولهم، فمن كانت بالله بدايته كانت إليه نهاياته، فهم مبرؤن من حولهم وقوتهم في سيرهم ووصولهم، أو إشارة إلي مصاحبتهم لله في غيبتهم * وحضورهم وفي جميع شؤنهم قد اتخذوا الله صاحباً وتركوا الناس جانباً ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم الآية: ٤٩] فالإعتزال عن الخلق سبب في مواهب الحق أو إلي مصاحبتهم لمن يدل علي الله بمقاله وينهض إليه بحاله فالصحبة عند هؤلاء ركن كبير من أركان التصوف يدرك بها في ساعة واحدة ما لا يدرك في سنين بالمجاهدة والمكابدة، وجرب ففي التجريب علم الحقائق.

(والكاف) تشير إلي التشبه بالقوم في زيهم وسيرهم وأخلاقهم، فمن تشبه بقوم فهو منهم بشرط العمل والإخلاص، (واللام) إشارة إلي استحقاق الولاية وملكها

بالمحبة والتشبه بالقوم مع الإخلاص والتجريد من العلائق حتي تشرق عليه أنوار الحقائق ويملك الوجود بأسره من عرشه إلي فرشه يتصرف فيه بهمته ويدور به في لمحة بفكرته ويقال له حينئذ:

لـك الـدهـر طـوع والآنـــام عبيد   فعش كـل يــوم مــن زمـانـك عيد

(وحروف القسم) هي إشارة إلي كونهم لو أقسموا علي الله لأبرهم في قسمهم وهو مقام المحبوبين جعلنا الله من خواصهم بمنه وكرمه آمين.

(والفعل) يعرف بقد و السين وسوف وتاء التأنيث الساكنة، والفعل الذي يتوصل به إلي الله تعالي ويحصل به الوصول إلي حضرة القدس يعرف بقد التي تفيد الجزم والتصميم وهو العزم علي البر والتقوي، والجزم والتصميم بدوام السير حتي يصل أو يموت، فبهذا يحصل للمريد الوصول، فقد قالوا في شروط الفقير هي حسن الخدمة وحفظ الحرمة وتعظيم النعمة ونفوذ العزيمة هو تصميم العزم علي السير إلي الوصول فإذا كَلّ أو ضعف أو تعب جدد العزم حتي يصل، وفي ذلك يقول القائل:

لقد كابد الجد حتي ملّ أكثرهم   وعانق المجد من وافي ومن صبرا

فإذا خاف علي نفسه الملل والرجوع نَفَسَ لها شيئاً ما بترك المجاهدة وسوّف لها بالراحة والبشارة بالوصول وإليه الإشارة بقوله (والسين وسوف) ويحتمل أن يكون علي حذف المضاف أي يعرف بترك السين وسوف أي بترك التسويف فيكون إشارة إلي المبادرة وانتهاز الفرصة قبل فوات الوقت وإليه أشار ابن الفارض رضي الله تعالي عنه بقوله:

وجد بسيف العزم سوف فإن تُجَد   تَجِد نفسا فالنفس إن جُدْتَ جُدَتي

وكذا يقال في قوله وتاء التأنيث أي وترك صحبة التأنيث فإن صحبة النساء من أعظم القواطع للمريد، قال صلي الله تعالي عليه وسلم (ما تركت بعدي أضر علي

الرجال من النساء) «رواه أسامة بن زيد» وقد حذر كثير من الصوفية الفقير من التزوج فقد لا يضر والله تعالي أعلم.

(والحرف ما لا يصح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل) أي وذو الحرف الظلماني وهو الذي يعبد الله علي حرف أي طرف من الدين وطمع فإن أصابه خير اطمأن وإن أصابته فتنة انقلب علي وجهه لا يصلح للسير بالذكر ولا بالعمل وهو الذي دخل في طريق القوم طمعاً في رياسة أو عز أو جاه أو مال فلا يأتي منه شئ خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين والعياذ بالله.

باب الإعراب

(الإعراب) هو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً وتقديراً.

وأقسامه أربعة: رفع ونصب وخفض وجزم.

فللأسماء من ذلك: الرفع والنصب والخفض ولا جزم فيها.

وللأفعال من ذلك: الرفع والنصب والجزم ولا خفض فيها.

الإشارة الصوفية:

كما تتغير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها كذلك تتغير أحوال القلوب لاختلاف الواردات الداخلة عليها فتارة يرد عليها وارد القبض، وتارة وارد البسط، فالقبض والبسط حالتان يتعاقبان علي العبد تعاقب الليل والنهار.

قال سيدي القشيري ﷺ: إذا كاشف الله العبد بنعت جماله بسطه وإذا كاشفه بنعت جلاله قبضه، فالقبض يوجب إيحاشه والبسط يوجب إيناسه، واعلم أن رد العبد إلي أحوال بشريته يقبضه حتي لا يطيق ذرة ويأخذه مرة من نعوته فيجد لحمل ما يرد عليه قوةً وطاقة، قال الشبلي رضي الله تعالي عنه: من عرف الله جل وعلا حمل السموات والأرض علي شعرة من شعرات جفن عينيه ومن لم يعرف الله جل جلاله لو تعلق به جناح بعوضة ضج منها، فحصل من هذا علي حالتي القبض والبسط حتي لا يطيقه وهذا سيد الرسل صلي الله تعالي عليه وسلم حين ورد عليه وارد القبض شد الحجر علي بطنه وحين ورد عليه وارد البسط أطعم ألفاً جياعاً من صاع.

ولكل من القبض والبسط آداب: فآداب القبض السكون تحت مجاري الأقدار وانتظار الفرج من الكريم الغفار.

وآداب البسط: كف اللسان وقبض العنان والحياء من الكريم المنان والبسط مزلة اقدام الرجال، قال بعضهم: فتح عليّ باب من البسط فذللت ذلة فحجبت عن مقامي ثلاثين سنة، ولذا قيل: قف بالبساط وإياك والانبساط * واعلم أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء وفوق القبض والبسط الهيبة والأنس فالخوف والرجاء للمؤمنين والقبض والبسط للسائرين والهيبة والأنس للعارفين، ثم المحو في وجود العين للمتمكنين فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس وأنشدوا:

فلو كنت من أهل الوجـود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حـال مع اللـه واقفـاً تصان عن التذكار للجن والإنس

وإذا قلنا الإعراب هو البيان فنقول في الإشارة الإعراب عما في البواطن هو تغيير أحوال الظواهر لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فما كان في السرائر ظهر في شهادة الظواهر (تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال) والله تعالي أعلم.

(وأقسامه أربعة) رفع ونصب وخفض وجزم وأحوال التغيير الذي يعتري الإنسن وينزل به أربعة (رفع) أي رفع القدر والعز والجاه عند الله تعالي وعامله العلم بالله والعمل بطاعته وصحبة أهل العز والفناء وهم الأولياء رضي الله تعالي عنهم وضده (الخفض) وهو الذل والهوان وعامله الجهل وارتكاب المعاصي واتباع الهوي كما فال الشاعر:

لا تـتـبـع الـنـفـس فـي هـواهـا إن اتـبـاع الـهـوي هـوان

وقال آخر:

ان الـهـوي لهـو الـهـوان بعينـه فـإذا هـويـت فـقـد لقيت هـوانـا
وإذا هويت فقد تعبدك الهوي فاخضع لحبك كائناُ مـن كانا

والمقصود بالهوي: ما تهواه النفس وتعشقه من الحظوظ الجسمانية المحرمة والمكروهة أو المباحة قبل الوصول.

(والنصب): نصب النفس لمجاري الأقدار وهو مقام الرضا والتسليم وهو حال أهل الطمأنينة من العارفين الواصلين.

(والجزم): هو التصميم والعزم علي السير والمجاهدة والمكابدة إلي الوصول إلي تمام المشاهدة، فأهل الرفع والنصب عارفون واصلون، وأهل الخفض تالفون تائهون، وأهل الجزم سائرون.

وقد يتلون العبد بين الرفع والخفض، فتارة يغلب نفسه فيرتفع وتارة تغلب عليه نفسه فينخفض وهؤلاء أهل التلوين قبل التمكين، وقد يكون التلوين بعد التمكين وهو تلوين العارف مع المقامات فيتلون في كل مقام بلون، فتارة يظهر عليه الهيبة والخوف وتارة يظهر عليه الرجاء والبسط وتارة يظهر عليه الورع والكف وتارة يظهر عليه الرغبة والأخذ وتارة يظهر عليه الشوق والقلق وتارة يظهر عليه السكون والطمأنينة.. وهكذا وقد يطلب العبد الرفع فينخفض وهو من سبق له الحرمان والعياذ بالله تعالي، وقد يطلب الخفض فيرتفع وهو من سبقت له العناية فلا تضره الجناية ربما قضي عليك بالذنب فكان سببا للوصول والله تعالي أعلم.

(فللأسماء من ذلك الرفع والنصب والخفض ولا جزم فيها وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم ولا خفض فيها) تقدم أن القسمة ثلاثة: شريعة وطريقة وحقيقة.. فأهل الشريعة قائمون بأقواله عليه الصلاة والسلام، وأهل الطريقة قائمون بأفعاله ﷺ، وأهل الحقيقة قائمون بأحواله وأخلاقه ﷺ، فأهل الأقوال هم المعبر عنهم بالأسماء لأنهم فانون في الأسماء لأن ذكرهم جله لسانيّ وعملهم جله بدنيّ فيقال من طريق الإشارة فلأهل الأسماء من ذلك الرفع تارة إن استقامت أقوالهم وقويت دلائلهم فيرتفعون إلي درجة الصالحين.

(والنصب) أي التوسط بين الإرتفاع والانخفاض فيقفون بمجاري الأقدار وهو حال فتورهم، وبرودتهم عن العمل الصالح، (والخفض) تارة أخري وهو حال عصيانهم فيسقطون عن درجة الصلاح وينخفضون إلي أسفل سافلين، حيث لم تسبق لهم عناية المقربين، ولا جزم لهم جزم أهل العيان إذ لا يحصل الجزم الحقيقي إلا لأهل الشهود والعيان فليس الخبر كالعيان إذ لا يسلم صاحب الدليل من الخواطر الردية والشبه الشيطانية، فجلهم يعبد الله تعالي عن ظن قوي، ولذلك عبر الله تعالي بالظن في مقام الجزم فقال تعالي: « يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُواْ رَبِّهِمْ « [سورة البقرة الآية: ٤٦] تيسيراً وتخفيفاً علي أهل الدليل من أهل الإيمان، إذ لو عبر بالعلم لخرج عن دائرة الإسلام خلق كثير * والحاصل أن الإنسان لا يخرج من مقام الظنون حتي يصحب العارفين أهل اليقين فقد قال عليه الصلاة والسلام: (تعلموا اليقين فإني أتعلمه) «رواه خالد بن معران»، وفي رواية بمجالسة أهل اليقين ثم أشار إلي أهل الطريقة التي توصل إلي عين اليقين بقوله (وللأفعال) أي وللأفعال التي هي المجاهدة والمكابدة. (من ذلك الرفع) أي إلي أعلي عليين، (والنصب) أي نصب أبدانهم إلي مجاري أقدار ربهم بالرضا والتسليم، (والجزم) في عقائدهم وعلومهم لأنه عن شهود وعيان (ولا خفض فيها) لأنهم سبقت لهم من الله العناية فلا تضرهم الجناية فكلما طلبهم عامل الخفض استدركهم عامل الرفع فيرفعهم فلا خفض لهم أبداً جعلنا الله من خواصهم آمين.

باب معرفة علامات الإعراب

للرفع أربع علامات: الضمة والواو والألف والنون.

فأما الضمة: فتكون علامة للرفع في أربعة مواضع: في الاسم المفرد، وجمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء.

وأما الواو: فتكون علامة للرفع في موضعين: في جمع المذكر السالم، وفي الأسماء الخمسة وهي:

(أبوك وأخوك وحموك وفوك وذومال).

وأما الألف: فتكون علامة للرفع في تثنية الأسماء خاصة.

أما النون: فتكون علامة للرفع في الفعل المضارع إذا اتصل بضمير به ضمير تثنية أو ضمير جمع أو ضمير المؤنثة المخاطبة.

وللنصب خمس علامات: الفتحة، والألف، والكسرة، والياء، وحذف النون.

فأما الفتحة: فتكون علامة للنصب في ثلاثة مواضع: الاسم المفرد، وجمع التكسير، والفعل المضارع إذا دخل عليه ناصب ولم يتصل بآخره شئ.

وأما الألف: فتكون علامة للنصب في الأسماء الخمسة نحو: رأيت أباك وأخاك وما أشبه ذلك.

وأما الكسرة: فتكون علامة للنصب في جمع المؤنث السالم نحو: أكرمت المسلماتِ.

وأما الياء: فتكون علامة للنصب في التثنية والجمع.

وأما حذف النون: فيكون علامة للنصب في الأفعال الخمسة التي رفعها بثبوت النون.

وللخفض ثلاث علامات: الكسرة، والياء، والفتحة.

فأما الكسرة: فتكون علامة للخفض في ثلاثة مواضع: الاسم المفرد المنصرف، وجمع التكسير المنصرف، وجمع المؤنث السالم.

وأما الياء: فتكون علامة للخفض في ثلاثة مواضع: الأسماء الخمسة، وفي التثنية، والجمع.

وأما الفتحة: فتكون علامة للخض في الاسم الذي لا ينصرف نحو: سلمت علي أحمدَ.

وللجزم علامتان: السكون، والحذف.

فأما السكون: فيكون علامة للجزم في الفعل المضارع الصحيح الآخر.

وأما الحذف: فيكون علامة للجزم في الفعل المضارع المعتل الآخر، وفي الأفعال الخمسة التي رفعها بثبوت النون.

الإشارة الصوفية:

ذكر هنا علامات انتقال العبد من حال إلي حال حسب الواردات القلبية والخواطر السيئة والرديئة إما من الرفع إلي الخفض أو العكس أو من حالة القبض إلي البسط

أو العكس وهكذا من تخالف الأثار وتنقلات الأطوار، فلكل واحد من هذه الأثار علامات تظهر علي صاحبه كما تقدم ولكل واحد من القبض والبسط آداب، وقد أشرت إلي ذلك في قصيدتي العينية فقلت:

وإن جنك ليل من القبض حالك	**فهيئ لـه صبـراً فـضـوءه تابـع**
سكوت وتسليم لما قد جري بـه	**قـضـاء محتم مـن الحـق واقـع**
وللبسط آداب إذا لـم تقم بهـا	**تـزل بـك الأقـدام والقلب تابع**
خضوع وتعظيم وهيبـة نعمـة	**ومـسـك لـسـان الـقـول إنـه راتـع**

(للرفع أربع علامات الضمة والواو والألف والنون) للرفع إلي مقام المقربين أربع علامات أولها (الضمة) أي ضم المريد إلي الشيخ وصحبته وخدمته وتعظيمه ومحبته (والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح)، وثانيها (الواو) أي واو الهوية والحقيقة فلا بد للمريد أن يفني في الذات حقيقة، فمن لا فناء له لا بقاء له، فيفني أولاً في الاسم ثم في الذات، فبقدر الفناء يكون البقاء وبقدر السكر يكون الصحو، وثالثها (ألف الوحدة) فلا بد أن يكون فرد الفرد فيكون له قصد واحد ومحبة واحدة وإرادة واحدة ن ويكون ذلك بقلب مفرد فيه توحيد مجرد.

ورابعها (نون الأنانية) فلا يزال المريد يذكر الاسم حتي يكون عين المسمي فيقول حينئذ: أنا من أهوي ومن أهوي أنا فيغيب الذاكر في المذكور، ولقد قال غير واحد في مقام الفناء: أنا، وقال آخر في مقام البقاء: هو، فيقال للأول صدقت ويقال للثاني أحسنت وتأدبت كما قال بعض العارفين * وهنا إشارة أخري فيشير بالضم إلي ضم النفس وكفها عن حظوظها وهواها بلجام المجاهدة والمخالفة فيرتفع إلي مقام المشاهدة، وبالواو إلي الود والمحبة في الله ورسوله والشيخ الذي يوصله إلي حضرته والإخوان وسائر عباد الله، فالمحبة هي أصل الطريق وبها يقع السير عين التحقيق، فإذا وصل أحبه الله فكان سمعه وبصره وكُليّته لقوله إذا أحببته كنت

هو فإذا أحبه الله نودي بمحبته في السموات فيجيبه أهل السموات ثم تنزل محبته إلي الأرض كما في الحديث قال الله تعالي: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » [سورة مريم الآية: ٩٦]، ويشير بالألف إلي الوحدة كما تقدم وبالنون إلي نور التوحيد ثم المواجهة، فنور التوجه للسائرين ونور المواجهة للواصلين، والمراد بنور التوجه: حلاوة المعاملة وما يجده المريد في سيره من النشوة والسكر.

ونور المواجهة: هو نور الشهود يواجه الله تعالي بأسرار ذاته فيغيبه عن رؤية الوجود سوي ذات المعبود، وفي ذلك يقول الجنيد رضي الله تعالي عنه:

وجودي أن أغيب عن الوجود بما يبدو عليّ من الشهود

(فأما الضمة فتكون علامة للرفع في أربعة مواضع: في الاسم المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شئ).

فأما الضمة بالأولياء والمحبة لهم فتكون علامة للرفع إلي مقام المقربين وسبباً في نيل مقام السابقين في ذكر اسم المفرد والفناء فيه * سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول فنيت في الاسم المفرد أربعين سنة حتي كان بدني كله يتحرك بغير اختيار مني إذا شدّدت علي الرجل الواحدة اهتزت الأخري، فالفناء في الاسم مقدمة للفناء في الذات بقدره يعظم ويقل * ويكون أيضاً علامة للرفع في محبة جميع الأولياء الذين هم أهل التكسير والإكسير يتصرفون في الوجود بهممهم يكسرون من شاءوا ويجبرون من شاءوا يكسرون أعدائهم ومن ناواهم بإرادة مولاهم ويجبرون أحبابهم بمشيئة مولاهم، كما قال القائل في وصفهم:

هممهم تقضي بحكم الوقت ومنكرهم معرض للمقت

ويرتفع المريد أيضاً بضمه إلي الشيخ في جمع المؤنث السالم أي جمعه بالمؤنث عن طريق التزوج السالم من غوائله وشغله عن ربه لأن التزوج للفقير المغتني يزيد

في رتبة يقينه ويوسع أخلاقه فتتسع معرفته، فإذا علم أنه لا يَسْلَم فالسلامة تركه، وكان شيخ شيخنا ﷺ يقول: حذر الصوفية من التزوج للفقير وأنا آمر به، لأن الفقير إذا تزوج تقوي يقينه واتسعت أخلاقه ويتسع معناه أو كلاماً هذا معناه، ويرتفع أيضاً بالفعل المضارع أي العمل المشابه لفعل الأصفياء بموافقته للسنة وسلامته من البدعة وتحققه فيه بالإخلاص والتبري من الحول والقوة قال الله تعالي: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف الآية: ١١٠].

والعمل الصالح هو الذي يصحبه الإخلاص في أوله والإتقان في وسطه والغيبة عنه في آخره وإليه الإشارة بقوله (الذي لم يتصل بآخره شئ) من العلل كالإظهار له والتمدح به * وفي الحكم العطائية لا عمل أرجي للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويُحْتقر لديك وجوده، وفي نسخة أرجي للقبول وبالله التوفيق.

وأما الواو فتكون علامة للرفع في موضعين في جمع المذكر السالم وفي الأسماء الخمسة وهي: أبوك وأخوك وحموك وفوك وذومال.

وأما واو المودة والمحبة من الخلق فتكون علامة للرفع عند الخالق في موضعين: في جمع المذكر السالم أي إذا كانت تلك المحبة من الجمع الكثير والجم الغفير من أهل العقل السليم والرأي المستقيم ولا عبرة بمحبة السفهاء ولا بغضهم إذ ليسوا من أهل العقل السليم، وأن يكون ذلك الود سالماً من الأغراض والأهواء بل يكون لله وفي الله ومن الله بلا عوض ولا حرف، فهذه المحبة هي التي تدل علي رفع قدر صاحبها عند الله، وتكون ايضاً علامة لرفعه في الأسماء الخمسة إذا وقعت من الأجناس الخمسة الإنس والملك والجن والحيوانات والجمادات، فإن الله تعالي إذا أحب عبداً قذف محبته في قلوب جميع خلقه فيشتاق إليه كل شئ ويطيعه كل شئ، ويدل علي هذا تسخير الحيوانات والجمادات للأولياء وقد تقدم في الحديث (إذا أحب الله عبداً نادي جبريل أني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي

جبريل في السموات إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السموات، ثم يُلقي له القبول في الأرض فيحبه أهل الأرض كلهم جنهم وإنسهم) «رواه أبو هريرة»، وفي الحديث (إن العالم يستغفر له دواب البر وأنعامه ودواب البحر وهوامه) «رواه أبو الدرداء»، وفي حديث آخر (إن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتي الحيتان في جوف الماء، وإن العلماء ورثة الانبياء، لأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر).. والمراد بالعلماء العلماء بالله أو بأحكام الله إذا خلصت النية والاستغفار يدل علي المحبة والله تعالي أعلم.

(وأما الألف فتكون علامة للرفع في تثنية الأسماء خاصة)، (وأما ألف الوحدة) أي التحقق بها فتكون علامة لرفع صاحبها أو كماله في تثنية الأسماء خاصة أي في حال التمسك بالشريعة والحقيقة فقط فمن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق، إلا أن يكون مجذوباً ❋ أو نقول تكون ألف الوحدة علامة للرفع في تثنية الأشياء الدالة عليها الأسماء وتثنيتها جعلها ورؤيتها قائمة بين الضدين بين الحس والمعني بين الحكمة والقدرة بين العبودية والربوبية بين الملك والملكوت بين الأثر والمؤثر بين الكون والمكون بين الخلق والحق، فلا يكون العارف كاملاً حتي يبلغ إلي هذا المقام، فإن وقف مع الضد الأول كان محجوباً مطموس البصيرة ❋ وفيه قال المجذوب رضي الله عنه:

من نظر الكون بالكون ... عراه العمي في البصيرة
ومن نظر الكون بالمكوّن ... صادف علاج السريرة

وإن وقف مع الضد الثاني كان سكران غير صاحٍ فانياً غير باقٍ مجذوباً غير سالكٍ فلا يكون كاملاً وبالله تعالي التوفيق.

(وأما النون فتكون علامة للرفع في الفعل المضارع إذا اتصل به ضمير تثنية أو ضمير جمع أو ضمير المؤنثة المخاطبة)، وأما نون الأنانية وهو مقام الفناء الذي

يقول فيه صاحبه أنا من أهوي ومن أهوي أنا فيكون علامة لرفع صاحبه إذا اتصل به ضمير تثنية وهو الذي يقر الشريعة في محلها والحقيقة في محلها، فالشريعة للظواهر والحقيقة للبواطن فلا يكمل مقام الفناء إلا بالبقاء الذي يعطي فيه كل ذي حق حقه كما تقدم * أو نقول ضمير تثنية هو رؤية الضدين في جميع التجليات كما تقدم أو ضمير جمع علي الله في جميع الأوقات وكل الحالات فيكون مستغرقاً في الشهود غائباً عن كل موجود مستديم الشرب والورود غارقاً من عين المنة والجود، أو ضمير المؤنثة المخاطبة أي ذي البصيرة المنورة المخاطبة بالواردات الإلهية والعلوم اللدنية والأسرار الربانية وبالله التوفيق.

(وللنصب خمس علامات: الفتحة والألف والكسرة والياء وحذف النون) ولنصب العبد نفسه للمقادير في مقام الرضا خمس علامات: الفتحة أي فتح قلبه لمعرفة الحق فإن من عرف الحق رضي بأحكامه ومن جهل سخط أحكامه * وقيل لبعض العارفين ما تشتهي؟ قال ما يقضي الله، وقال آخر: أصبحت ومَالِيَ سرور إلا في مواقع القدر * وفي الحكم العاقل إذا أصبح نظر ما يفعل الله به، والجاهل إذا أصبح نظر ما يفعل بنفسه، وعلامة العاقل علي النصب للمقادير أيضاً والرضي بما يبرز من عنصر القدرة ألف الوحدة فلا يري إلا الله ولا يركن لشئ سواه، لأن من رضي بالله رباً لا يعرف غيره وعلامته أيضاً الكسرة أي الخضوع والسكون تحت مجاري أقداره والذل والافتقار إليه وعلامته أيضاً اليقين التام والطمأنينة الكبري، فالياء يشار بها هنا إلي اليقين وعلامته أيضاً حذف نون الأنانية لخروجه إلي البقاء، فالفاني يقول أنا والباقي يقول هو كما تقدم وبالله التوفيق.

(وأما الفتحة فتكون علامة للنصب في ثلاثة مواضع في الاسم المفرد وجمع التكسير والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شئ إذا دخل عليه ناصب) كما قيل لا يكون الفتح علي تحقيق العد بمقام الرضا إلا بعد تحققه بثلاثة أمور في بدايته

الاستغراق في الاسم المفرد وصحبته للذاكرين وتمسكه بالعمل الصالح الذي لم يتصل به شئ من العلل وهو التمسك بالشريعة المحمدية وبالله التوفيق.

(وأما الألف فتكون علامة للنصب في الأسماء الخمسة نحو رأيت اباك وأخاك وما أشبه ذلك).

(وأما ألف الوحدة إذا تحقق به المريد وتمكن منه فيكون علامة لنصبه للشيخوخة والتذكير في خمسة أمور فإذا تحقق بها كانت علامة علي صحة نصبه وظهوره بذلك ثلاثة في سيره وهي: الصحبة للشيخ وخرق عوائد نفسه واذن له من شيخه، واثنان بعد وصوله وهما: التحقق بمقام الفناء والبقاء وبالله التوفيق.

(وأما الكسرة فتكون علامة للنصب في جمع المؤنث السالم) وأما الكسرة أي الذلة والهفوة فتكون علامة علي نصب العبد وجهه لجهة التوجه بحيث لم تضره ولم تفتره بل تزيد له انكسارا وانحياشاً لربه في جمع المؤنث السالم أي إذا كان ذلك ميالا بطبعه لجهة النساء ثم سلم من غائلتهن ورحل إلي ربه بانكساره * رب معصية أورثتك ذلاً وانكسارا خير من طاعة أورثتك عزاً واستكباراً وبالله التوفيق.

(وأما الياء فتكون علامة للنصب في التثنية والجمع)، وأما اليقين والطمأنينة فيكون علامة لنصب العبد وتوجهه إلي ربه في التثنية أي في ضمه الشريعة إلي الحقيقة، فإن كان ظاهره متمسكاً بالشريعة وباطنه منوراً بأسرار الحقيقة علمنا كماله وصحة توجهه وإن أخل بإحداهما علمنا نقصانه وإن ظهر أثر اليقين عليه من سكون الظاهر وطمأنينته فإن كثيراً من العباد والزهاد ظهر عليهم أثر اليقين وهم غير كمل بل هم أشد حجاباً عن الله، ويظهر أيضاً نصبه وتوجهه في الجمع الدائم بالقلب الهائم فيكون شربه متوالياً وسكره متواصلاً كما قال الشاعر:

من أحسن المذاهب ... سكر علي الدوام
وأكمل الرغائب ... وصل بلا انصراف

(وأما حذف النون فيكون علامة للنصب في الأفعال الخمسة التي رفعها بثبات النون).

وأما حذف نون الأنانية بالخروج إلي التحقق بالهوية في مقام البقاء وقد تقدم أن الفاني يقول أنا والباقي يقول هو، فعلامة نصبه في مقام الهوية اشتغاله بالأفعال التي ترفع إلي الله تعالي بثبوت النون لعلة النون التي يخصها وهو الإخلاص والإتقان والله تعالي أعلم.

(وللخفض ثلاث علامات: الكسرة والياء والفتحة) ولخفض العبد وتواضعه ثلاث علامات: انكساره لربه دائماً هيبةً منه وإجلالا له ولعباد الله تواضعاً ولأوليائه تعظيماً وتحققه بياء النسبة أي يكون منسوباً إلي الصوفية بأن يقال فيه صوفي أو منسوباً إلي أولياء الله مضافاً إليهم، وأن يكون مفتوحاً عليه قد تحقق بالفتح الكبير، وفي الحكم التواضع الحقيقي ما كان ناشئاً عن شهود عظمته وتجلي صفته وبالله التوفيق.

(فأما الكسرة فتكون علامة للخفض في ثلاثة مواضع: في الاسم المفرد المنصرف وجمع التكسير المنصرف وجمع المؤنث السالم) فأما الانكسار فيكون علامة للتواضع الحقيقي في ثلاثة مواضع أولها: الاشتغال بذكر الله وأعظم الذكر الاسم المفرد لأنه سلطان الأسماء، فإن الذكر يهذب ويؤدب قال الله تعالي: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٤٥]، ثانيها: جمعه مع الأولياء أهل الإكسير والتكسير، ثالثها: تحصيله لسنته عليه الصلاة والسلام وإحرازه لدينه بجمعه بالمؤنث من غوائله وهو التزوج فلا يظهر تواضع العبد ولا حسن خلقه إلا مع أهله وأولاده، قال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) «رواه ابن عباس» وبالله التوفيق.

(وأما الياء فتكون علامة للخفض في ثلاثة مواضع في الأسماء الخمسة وفي التثنية والجمع) وأما ياء النسبة التي تحققه بلحوق الصوفية فتكون علامة علي خفضه وتواضعه حتي يتحقق بما تحققوا به في ثلاثة مواضع في الأسماء الخمسة أي يظهر تواضعه في الأسماء الخمسة الإنس والجن والملائكة والحيوانات والجمادات فإن العارف يتواضع مع الحجر والمدر ومع الأشياء كلها لأن تواضعه ناشئ عن شهود الضدين في الأشياء كلها فيتواضع مع الربوبية ويقوم بحق العبودية * وفي الجمع أي في جمع الاخوان فيتواضع مع صغيرهم وكبيرهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم، وفي الحديث (ارحموا صغيركم ووقروا كبيركم) «رواه الطبراني» أو كما قال عليه الصلاة والسلام في الجامع ولله در القائل:

ارحم بنيّ جميع الخلق كلهم ... وانظر إليهم بعين الحلم والشفقة

وقر كبيرهمو وارحم صغيرهمو ... وراعي في كل خلق حق من خلقه

وبالله التوفيق.

(وأما الفتحة فتكون علامة للخفض في الاسم الذي لا ينصرف) قد يكون الفتح علي العبد في علم الحقائق سبباً لطرده وعلامة علي خفضه عن مقام الأكابر، وذلك في العبد الذي لا ينصرف عن هواه ولا ينفك عن طبعه ومتابعة مناه، وذلك لوجود علتين وهما: حب الرياسة والجاه أو علة تقوم مقامهما وهي حب الدنيا الذي هو رأس الخطايا، واعلم أن علم الحقائق لا يطيقه إلا الأقوياء من الرجال الذين قتلوا أنفسهم بالمجاهدة والمخالفة وتفرغوا من جميع الشواغل والعلائق القلبية وصحبوا المشايخ وجالسوهم وخدموهم ورسمت أحكام الشريعة في ظواهرهم فحينئذ إذا دخلوا بلاد الحقائق أشرقت عليهم أنوارها وأسرارها وذاقوا حلاوة معانيها ورسخت في قلوبهم أسرار المعارف، وأما قبل ذلك فإما أن يتذندقوا أو يرفضوا الشريعة وراء ظهورهم فينسل الإيمان من قلوبهم انسلال الشعرة من العجين، وإما أن يتقهقروا

إلي مقام العمومية وليست القلوب كلها تطيق أنوار الحقيقة بل بعضها فقط، وربما تكون بعض القلوب تفر من الذكر وتتعشق إلي اللهو والغناء فهي كالجعل وهو الذي تقول فيه العامة أبو فساس، فإن من شأنه إن قربت منه رائحة طيبة مات من ساعته ولا يعيش إلا بالنتن والخبث، فكذلك بعض الأرواح الخبيثة تنتعش باللهو وتفر من الذكر ينطبق عليها قوله تعالي: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [سورة الزمر الآية: ٤٥] وبالله تعالي التوفيق.

(وللجزم علامتان السكون والحذف) وللجزم بمعرفة الحق والرسوخ فيها بحيث ينقطع من القلب التوهم والخواطر والشكوك والأوهام علامتان السكون أي سكون القلب وطمأنينته فيكون كالجبل الراسخ لا تحل لساحة الهموم ولا تطرقه عوارض الغموم ولو انطبقت السماء علي الأرض فلا تحركه واردات الأحوال ولا تهزه الزلازل والأهوال، وفي أمثاله يقول الشاعر:

لا تهتدي نوب الزمان إليهم ولهم علي الخطب الشديد لجام

فيسكن الظاهر من تعب المجاهدة ويرتاح الباطن في ظل المشاهدة إذ لا تجتمع المجاهدة مع المشاهدة إنما يكون التعب في حالة السير، وأما من وصل إلي الحبيب فلا تعب له ولا نصب.

قال الله تعالي: « لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ « [سورة الحجر الآية: ٤٨] وعلامة الجزم أيضاً بشهود الحق حذف علائق القلب وشواغله فلا يبقي إلا قلب مفرد فيه توحيد مجرد وقد جعل الهموم هماً واحداً فكفاه الله هم دنياه وضمن له عاقبة أخراه جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

(فأما السكون فيكون علامة للجزم في الفعل الصحيح الآخر وأما الحذف فيكون علامة للجزم في الفعل المضارع المعتل الآخر في الأفعال التي رفعها بثبات النون)،

فأما سكون الظاهر من تعب المجاهدة فيكون علامة لجزم الباطن ورسوخه في مقام المشاهدة في الفعل المضارع أي في العمل الصالح المشابه لأفعال المخلصين بموافقة السنة ومجانبة البدعة الصحيح الآخر الصافي من العلل التي تلحقه بعد تمامه كالتبجح به واعتقاد المزية علي الناس بسببه وطلب العوض عليه، كيف تطلب عوضاً عن عمل لست أنت فاعله؟ والحاصل أن سكون الظاهر بعد التعب يدل علي جزم الباطن وتحققه بمعرفة الله وهي الحياة الطيبة والعيش الهنئ * قال السري السقطي من عرف الله عاش ومن مال إلي الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لاش * واعلم أن سكون الظاهر من تعب المجاهدة قد يكون مع سكون الباطن براحة المشاهدة، وقد يكون مع بقاء تعبه بالأموال والخواطر الدنيوية وذلك أن المريد إذا التقي بالشيخ وأخذ عنه جاء جند النور يريد أن يخرج جند الظلمة من مدينة القلب، ويريد جند الظلمة البقاء في وطنه فيشتعل الحرب بينهما، وهذا سبب اضطراب الظاهر وتوارد الأحوال عليه وذكر اللسان كالمدفع يرمي عليه من خارج فإذا دخل الذكر معه القلب وخالط معه البطر سكت اللسان وما بقي إلا السيوف تضرب ثم يخرج جند الظلمة من القلب ويرتاح القلب من تعب التدبير والاختيار وأحوال الدنيا ويسكن الظاهر أيضاً من تعب المجاهدة، وقد ينزل جند النور علي جند الظلمة فلا يقدر علي إخراجه من القلب فيرتحل النور حيث جاء ويسكن الظاهر علي جند الظلمة ويبقي الباطن متعباً كما كان، فهذا حال من رجع وخرج من الفقراء قبل التمكين واشتغل بالأسباب قبل الوصول والعياذ بالله من السلب بعد العطاء وبالله التوفيق.

وأما حذف الشواغل والعلائق الظاهرة ظلمانية كانت أو نورانية فيكون علامة لجزم الباطن وتحققه بمقام الأذواق والوجدان وتخلصه لمقام العيان في الفعل المضارع أي العمل المشابه لأفعال الصالحين المعتل الآخر بما تقدم، فإن حذف علته وصفائه وطهره من تلك العلل كان علامة علي جزمه وتحققه بالعرفان علي

نعت الشهود والعيان وإن لم يحذف علته ولم يطهره مما يشوبه كان علامة علي ثبوت حرمانه وكذبه في دعواه، يعني أن العبد إذا تجرد وانقطع لله وترك شواغل الظاهر كانت تلك الشواغل ظلمانية ككونها دنياوية أو أخراوية أو نورانية ككونها دينية لكنها تشتت القلب وتفرق الهم كتدريس العلم الظاهر وتتبع الفضائل، فإن ذلك يفرق قلب المريد ويشتته فلا يليق به إلا ذكر واحد حتي يذوق سره فلا يكون ذلك علي جزم صاحبه وطمأنينته حتي يصلح عمله ويخلصه من العلل التي تلحقه ظاهراً وباطناً، ويكون علامة علي جزمه وتحققه في الأفعال التي رفعها بثبات النون أي في الأفعال التي ترفع صاحبها بثبوت نورانيتها ووجدان حلاوتها، فوجدان الحلاوة عاجلاً دليل علي وجدان القبول آجلاً، فإذا تحقق المريد بحلاوة نور التوجه ثم ترقي إلي حلاوة نور المواجهة فقد صحت معرفته وكمل يقينه وتحقق جزمه وعقد في أسرار التوحيد وبالله تعالي التوفيق.

فصل المعربات

المعربات قسمان:

قسم يعرب بالحركات، وقسم يعرب بالحروف.

فالذي يعرب بالحركات أربعة أنواع: الاسم المفرد، وجمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شئ، وكلها ترفع بالضمة وتنصب بالفتحة وتخفض بالكسرة وتجزم بالسكون.

وخرج عن ذلك ثلاثة أشياء: جمع المؤنث السالم ينصب بالكسرة، والاسم الذي لا ينصرف يخفض بالفتحة، والفعل المضارع المعتل الآخر يجزم بحذف آخره.

والذي يعرب بالحروف أربعة أنواع: التثنية، وجمع المذكر السالم، والأسماء الخمسة، والأفعال الخمسة وهي: (يفعلان، وتفعلان، ويفعلون، وتفعلون، وتفعلين).

فأما التثنية فترفع بالألف وتنصب وتخفض بالياء، وأما جمع المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويخفض بالياء، وأما الأسماء الخمسة فترفع بالواو وتنصب بالألف وتخفض بالياء، وأما الأفعال الخمسة فترفع بالنون وتنصب وتجزم بحذفها.

الإشارة الصوفية:

الأسرار المعربات أي المظهرات من عالم الغيب إلي عالم الشهادة أو من بحر الجبروت إلي عالم الملك والملكوت وهي أسرار الذات الأزلية

قسمان قسم يعرب أي يظهر بالحروف وقسم يعرب أي يظهر بالأشكال، ويقال للجميع التجليات، وذلك أن الذات العلية في حال الكنزية كانت ذاتاً لطيفة خفية قديمة أزلية متصفة بأوصاف الكمال ثم تجلت وظهرت بالرسوم والأشكال، فالرسوم هي التجليات العظيمة كالعرش والكرسي والسموات والأراضين والجبال وغير ذلك من الأجرام الكبيرة، والأشكال هي التجليات الدقيقة كبعض الملائكة وأصناف الحيوانات شبهوا التجليات العظام بالحروف والرسوم والتجليات الدقيقة بالأشكال وأسرار الذات العلية بالمعاني وشأن المعاني أن تُفهم بالحروف والأشكال فما ظهرت الكائنات الحسية إلا لتقبض منها المعاني الأزلية، فما نصبت الكائنات لتراها بل لتري فيها مولاها فمن رأي الكون ولم يشهد الحق فيه أو قبله أو معه أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار كما في الحكم: فما ظهر في عالم الشهادة هو عين ما في عالم الغيب، الأكوان ثابتة بإثباته فمحوه بأحدية ذاته ❊ وقد أشار ابن الفارض في خمريته إلي وصف الذات الأزلية في حال الكنزية فقال:

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ... ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها ... قديم ولا شكل هناك ولا رسم

أي صفاء كصفاء الماء ولا ماء، ولطف كلطف الهواء ولا هواء، ونور كنور النار ولا نار، وروح أي حياة كحياة الأجسام ولا جسم، ويسمي هذا الحال الأزلي بالعمي.

قيل يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال كان في عماء ليس فوقه هواء ولا تحته هواء أي كان في خفاء ولطافة ليس فوقه هواء ولا تحته هواء بل

عظمته عمت فوق الفوق وتحت التحت وقبل القبل وبعد البعد ثم أشار إليها بعد التجلي بالرسم والأشكال، فقال:

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لا له فهم

وقد وضحنا المسألة وبينّاها في شرحنا فلينظره من أراده، وقد تقدم إشارات الرفع والنصب والخفض والجزم وما ينوب عنها ففيه كفاية وعلمنا كله إشارة وبالله التوفيق.

بــاب الأفعــــال

الأفعال ثلاثة: ماضٍ ومضارع وأمر نحو: ضربَ ويضربُ واضربْ.

فالماضي مفتوح الآخر أبدا، والأمر مجزوم أبدا، والمضارع ما كان في أوله إحدي الزوائد الأربع يجمعها قولك (أَنَيْتُ) وهو مرفوع أبدا حتي يدخل عليه ناصب أو جازم.

(فالنواصب عشرة وهي: أن ولن وإذاً وكي ولام كي ولام الجحود وحتي والجواب بالفاء والواو و أو) * (والجوازم ثمانية عشر وهي: لم ولما و ألم وألما ولام الأمر والدعاء ولا في النهي والدعاء وإن وما ومن ومهما وإذما وأي ومتي وأيان وأين وأني وحيثما وكيفما وإذا في الشعر خاصة).

الإشــارة الصوفيـة:

الأفعال التي سبق بها القدر ثلاثة: أفعال سابقة وأفعال لاحقة تابعة للسابقة وأفعال حاصلة والناس فيها علي أربعة أقسام: قسم غلب عليهم خوف السابقة، وقسم غلب عليهم خوف العاقبة، وقسم غلب عليهم الاشتغال بعمارة الأوقات وما كلفهم به مقرر الأوقات ومقدرها غائبين عن السوابق واللواحق وهم العباد والزهاد، وقسم غلب عليهم الاستغراق في شهود الفاعل المختار فانون عن أنفسهم غائبون عن وجودهم في وجود معبودهم لا يخطر علي بالهم سوابق ولا لواحق مستسلمون لمولاهم في حكمه وقضائه وهؤلاء هم العارفون بالله، وإن شئت قلت الأفعال التي تصدر من العبد ثلاثة فعل مضي وفعل هو مشتغل به في الحال وفعل يأتي لا يدري

ما يفعل الله فيه، وفي الحديث: (المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضي لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) «رواه جابر بن عبدالله».

فآداب الماضي نسيانه والغيبة عنه فإن تذكر ما مضي من إساءته جدد الندم والاستغفار وأن تذكر ما سلف من إحسانه حمد وشكر، وآداب الآتي الغيبة عنه ونظر ما يبرز من عنصر القدرة تاركاً للتدبير والاختيار مستسلماً لما يبرز من عند الواحد القهار، لأن من لم يدبر دُبّر له وما دبره الحق لك أحسن من تدبيرك لنفسك، فعسي أن تدبر شيئاً وتختاره وهو وبال عليك فالله أرحم بك من نفسك وأعلم بمصالحك منك ولله در القائل:

وكم رمت أمراً أخرت لي في انصرافه فلا زلت لي مني أبرّ وأرحما
عزمت علي أن لا أحس بخاطر علي القلب إلا كنت أنت المقدما
وأن لا ترني عند ما قد نهيتني لكونك في قلبي كبيراً معظما

وآداب الحاصل: اغتنام الوقت قبل الممات وانتهاز الفرصة قبل الفوات والمسابقة إلي فعل الخيرات كما قال الشاعر:

السباق السباق قولاً وفعلا حذر النفس حسرة المسبوق

وبالله التوفيق.

ثم مثل للأفعال الثلاثة نحو ضرب ويضرب واضرب.

فالماضي مفتوح الآخر أبدا، والأمر مجزوم الآخر أبدا، والمضارع كان في أوله إحدي الزوائد الأربع يجمعها قولك (أنيت)، فالماضي أي الزمن الماضي الذي اشتغل فيه صاحبه بأنواع الطاعات والمجاهدات والسياحات في طلب الحق مفتوح

آخره بالفتح الكثير الكبير أبدا، لأن البدايات مجلات النهايات، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته * والأمر الذي يوصل صاحبه إلي حضرة القدس ومحل الأنس مجزوم ومعزوم عليه أبدا لا يصحبه فتور ولا قصور ولا عي ولا ملل بل لم تزل فيه عزيمة لا يقر قرارها دائماً تِسْيَارُهَا إلي أن أناخت في حضرة القدس ومحل الأنس محل المشاهدة والمكالمة والمكافحة والمواجهة فتصير الحضرة معشش قلباً فيها يسكن وإليها يأوي.

والمضارع أي المشبه بالقوم وليس فيه ناهضة حب وإنما قصده التزيي بأحوال القوم والتطفل عليهم هو ما كانت فيه إحدي العلل الأربع الزائدة علي الروح والعارضة وهي حب الدنيا والعز وخوف الخلق وهم الرزق ويجمعها الرضي عن النفس الذي هو أصل كل معصية وخطيئة وغفلة وشهوة، وينشأ عن الرضي عن النفس الدعوي فيدعي الوصول ويقول: أنيت أي قربت من الحضرة ووصلت إليها، والحال أن بينه وبينها ما بين السماء و الأرض، وسبب ذلك الغلط والجهل المركب وسبب الغلط عدم صحبة الرجال إذ لا تعرف المقامات إلا بصحبة أهل المقامات العلية.. وبالله تعالي التوفيق.

(وهو مرفوع أبدا حتي يدخل عليه ناصب أو جازم)، والتشبه بالقوم المتزيي بزيهم مرفوع أبدا لأن من أحب قوماً حشر معهم ومن تزيا بزي قوم فهو منهم فلا يزال عزيزاً مرفوعاً ما دام منخرطاً في سلكهم حتي يدخل عليه ناصب فينصبه لطلب الدنيا أو جازم يرده فيقهقره علي الرجوع من طلب المولي فيترك صحبة الشيخ والفقراء والوصول إليهم، فيكون ذلك سبب رجوعه إلي مقام العمومية.

(فالنواصب عشرة وهي: أن ولن وإذاً وكي ولام كي ولام الجحود وحتي والجواب بالفاء والواو و أو) * (والجوازم ثمانية عشر وهي: لم ولما و ألم وألما ولام الأمر والدعاء ولا في النهي والدعاء وإن وما ومن ومهما وإذما وأي ومتي وأيان وأين

وأني وحيثما وكيفما وإذا في الشعر خاصة) ❊ (والنواصب التي تنصب العبد وتمنعه من الوصول إلي ربه عشرة: حب الدنيا والجاه والمال وهم الرزق وخوف الفقر ومراقبة الخلق وسوء الظن بأهل النسبة وإنكار وجود أهل الخصوصية وإنكار وجود أهل التربية والشفقة علي النفس حتي لا يقدر علي مخالفتها و ردها عن هواها، والجوازم التي تجزمه وتحرمه من الخصوصية ثمانية عشر: الكبر والحسد وحب العلو والعجب والرياء وعدم الخضوع للأولياء والانتقاد عليهم والطعن علي الفقراء والطمع في الخلق والخوف منهم والميل إلي أهل الظلم والركون إليهم والوقوف مع المقامات والكرامات وحلاوة الطاعات والاستغراق في علم الرسوم والتجمع مع ظاهر الشريعة والتعرض للعلويات والظهور قبل التمكين).. وبالله التوفيق.

باب مرفوعات الأسماء

المرفوعات سبعة وهي: الفاعل والمفعول الذي لم يُسَمّ فاعله، والمبتدأ وخبره، واسم كان وأخواتها وخبر إن وأخواتها، والتابع للمرفوع وهو أربعة أشياء: النعت والعطف والتوكيد والبدل.

الإشـارة الصوفيـة:

الأسماء المرفوعة هي أسماء الحق تعالي وهي كثيرة، قال الله تعالي: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٨٠].

والذي ورد به التوقيف منها تسعة وتسعون، والذي ظهر منها في الوجود وقام به عالم التكوين سبعة وهي التي نشأت عن صفات المعاني التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، فيقال هو قادر ومريد وعالم وحي وسميع وبصير ومتكلم، فظهور الآثار وهي تجليات الحق تدل علي وجود الأسماء والأسماء تدل علي وجود الصفات والصفات تدل علي وجود الذات في تلك التجليات، لأن الصفة لا تفارق الموصوف، فظهور هذا العالم يدل علي وجود القادر الذي أظهره بقدرته، والقادر يدل علي قيام القدرة به والقدرة تدل علي وجود الذات في تلك التجليات إذ الصفة لا تفارق الموصوف فمهما ظهرت الصفات ظهرت الذات ومهما ظهرت الذات ظهرت الصفات وهذا معني قول من قال: الذات عين الصفات أي متلازمان في الظهور والتجلي * وفي الحكم دل بوجود آثاره علي وجود أسمائه وبوجود أسمائه علي ثبوت أوصافه وبثبوت أوصافه علي وجود ذاته، فالسالك يكشف له أولا عن وجود أسمائه ثم يترقي إلي شهود صفاته فثم يكشف له

عن كمال ذاته والمجذوب بالعكس إلي آخره فالفاعل الحقيقي هو الله والنائب عنه خليفته وهو الإنسان الكامل قال الله تعالي ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة الآية:٣٠] وهو آدم وذريته الكمل * والمبتدأ قبل كل شئ هو الله تعالي * والخبر هو الذي تجلي به من الأثر لأنه يخبر عن الذات وكمالاتها * واسم كان هو الله تعالي لأنه فاعل الكون الذي هو مصدر له * وهو أيضاً خبر إن لأنه به تأكدت النسب وعزم عليها * والتابع للمرفوع هو الولي الكامل لأنه تابع لله ولرسوله اللذان هما أصل كل رفعة وشرف وعز.. وبالله التوفيق.

باب الفاعل

(الفاعل هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله وهو علي قسمين ظاهر ومضمر، فالظاهر نحو قولك قام زيد، ويقوم زيد، وقام الزيدان، ويقوم الزيدان، وقام الزيدون، ويقوم الزيدون، وقام أخوك، ويقوم أخوك، وما أشبه ذلك، والمضمر نحو قولك ضربتُ وضربنا وضربتَ وضربتِ وضربتما وضربتم وضربتن وضرب وضَرَبَتْ وضربا وضربوا وضربن).

الإشارة الصوفية:

الفاعل الحقيقي هو الاسم المرفوع القدر العظيم الشان وهو الحق جل جلاله المذكور قبله فعله عند الذاكرين والمذكور قبله فعله عند الطالبين السائرين والمذكور بعده فعله عند العارفين الواصلين والمذكور قبله فعله عند أهل الدليل والبرهان يذكرون فعله ويستدلون به عليه وأما الواصلون من العارفين فيذكرونه ويرونه قبل رؤية فعله فهم يستدلون بالله علي غيره فلا يرون إلا هو كما قال الشاعر:

مذ عرفت الإله لم أرَ غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ... فأنا اليوم واصل مجموع

فرؤية الفعل قبل الفاعل مقام العموم من أهل الدليل والبرهان، ورؤية الفاعل قبل الفعل أو معه مقام الخصوص من أهل الشهود والعيان، فأهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان * وفي الحكم من رأي الكون ولم يشهد الحق فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف

بسحب الآثار، وفيها أيضاً شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتي غاب حتي يحتاج إلي دليل يدل عليه ومتي بعد حتي تكون الآثار هي التي توصل إليه، وقال الشاعر:

عجبت لمن يبغي عليك شهادة وأنت الذي أشهدته كل مشهد

ثم قال وهو علي قسمين: ظاهر عند العارفين لا يخفي علي أحد عندهم إلا علي أعمي كما قال الشاعر:

لقد ظهرت فلا تخفي علي أحد إلا علي أكمه لا يبصر القمرا

ومضمر أي مستتر باطن عند الغافلين كما قال في الشطر الثاني:

لكن بطنت بما أظهرت محتجبا وكيف يعرف من بالعزة استترا

(وفي مناجاة الحكم) إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتي يكون هو المظهر لك متي غبت حتي تحتاج إلي دليل يدل عليك * وفي عبارته نوع من الفرق فلو قال:إلهي كيف يستدل عليك بما هو سر من أسرار ذاتك ونور من أنوار تجلياتك، وقال أيضاً كيف تخفي وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر، فالحق جل جلاله قد تجلي وظهر في الأشياء كلها ثم بطن في ظهوره فما ظهر سواه وما تجلي إلا بنور بهائه وسناه لكان أظهر وقد قلت في حيرتي:

فما ظهر في الكون غير بهائها وما احتجب إلا بحجب سريرتي

إلي آخر القصيدة، قال الله تعالي (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (الحديد: ٣) أي هو أول بلا بداية والآخر بلا نهاية والظاهر فيما تجلي به من أسرار ذاته وأنوار صفاته وهو الباطن في عين ظهوره، ظهر بذاته وبطن بآثار صفاته * وفي الحكم أظهر كل شئ لأنه الباطن وطوي وجود كل شئ لأنه الظاهر أي أظهر حس الكائنات

بسبب اسمه الباطن، وطوي وجود كل شئ بسبب اسمه الظاهر إذ لا ظاهر معه، وهذا الأمر لا يفهمه إلا أهل الأذواق الذين يثبتون الضدين في مظهر واحد ويعطون كل ذي حق حقه، وحسب من لم يدرك مقامهم التسليم لما رمزو إليه.

وإذا لم ترَ الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

وبالله تعالي التوفيق.

باب المفعول الذي لم يسمَ فاعله

(وهو الاسم المرفوع الذي لم يذكر معه فاعله، فإن كان الفعل ماضياً ضم أوله وكسر ما قبل آخره، وإن كان مضارعاً ضم أوله وفتح ما قبل آخره مثل ضُرِب زيد، ويُضرب زيد، وهو علي قسمين: ظاهر ومضمر.

فالظاهر نحو قولك: ضُرِبَ زيد ويُضْرَب زيد، وأُكْرِمَ عمرو، ويُكْرَم عمرو.

والمضمر نحو قولك: ضُرِبْتُ وضُرِبنَا وضُرِبْتَ وضُرِبْتِ وضُرِبتما وضُرِبتُم وضربتن وضُربَ وضُربتْ وضُربا وضربوا وضُربنَ.

الإشارة الصوفية:

المفعول الذي لم يسمَ فاعله معه بل يصير عين الفاعل حقيقة: هو العارف بالله تعالي المتحقق بمقام الفناء والبقاء وهو النائب عن الفاعل الحقيقي في تعريف أحكامه التكليفية والتعريفية الجلالية والجمالية، وهو القطب الجامع ويقال فيه الغوث وسمي قطباً تشبيها له بقطب الرَحَا وهو قلبها الذي تدور عليه، وكذلك القطب هو قطب الكون عليه يدور من عرشه إلي فرشه فينقبض بقبضه وينبسط ببسطه وهو الذي يصل منه المدد الروحاني إلي دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وأوتاد وأبدال، إلا الأفراد فإنهم خارجون عن دائرته وله الإمامة والإرث والنيابة والخلافة الباطنة وهو روح الكون الذي عليه مداره، كما يشير إلي ذلك كونه بمنزلة إنسان العين من العين ولا يعرف ذلك إلا من كحل عين بصيرته بثمد التوحيد الخاص وكان له قسط

ونصيب من سر البقاء بالله، وأما تسميته بالغوث فمن حيث إغاثته للعوالم بهمته ومادته ورتبته الخاصة، فهذا يكون واحدا في الوجود وله علامات يتميز بها.

فإن القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي ﵁ قال: للقطب خمس عشرة علامة فمن إدعاها ووعاها أو شيئاً منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بالحكم والفصل بين الموجودين، وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلي منتهاه وما ثبت فيه، وحكم ما قبل وحكم ما بعد وما لا قبل وما لا بعد، وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل معلوم وما يعود إليه انتهي، وقد بينا معناه في كتابنا معراج التشوف في حقائق التصوف، وتفسير الفاتحة الكبير، ولا يشترط في القطب معرفة معاني هذه الشروط وإنما يشترط وجودها فيه بالذوق والكشف بحيث لو بين له معني كل واحد منها لوجدها فيه ذوقا وكشفاً لأن القطب قد يكون أمياً في علم الظاهر وفي معرفة معاني الألفاظ، لكنه متخلق بكل كمال والله تعالي أعلم * قوله وهو الاسم المرفوع أي المرفوع قدره العظيم الشأن لكونه خليفة الله في كونه يعني النائب عن الفاعل الحقيقي، وقوله الذي لم يذكر معه فاعله أي بل صار هو عين الفاعل الحقيقي لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده قد انطوي وجوده في وجود فاعله فانتقل من المفعولية إلي الفاعلية بأن صار عين العين.

كما قال بعض المشارقة في بعض أراجيزه:

قبل اليوم كنت مقيدا بقيود البيـن ... محجوباً بالوهم أحسب مفردي اثنين
فلما تَبَدّي جمالك زال عني الغيـن ... شهدت عيني بعيني وصرت عين العين

وكل من تحقق بمقام الفناء يشير إلي هذا المعني، فإن كان الفعل الذي صدر منه ماضياً ضم أوله إلي آخره وصار وقتاً واحدا هو الاستغراق في شهود موقت الأوقات، قال بعض العارفين: عليك بورد واحد وهو إسقاط الهوي ومحبة المولي

وكسر ما قبل آخره أي تواضع في آخره مع عظم قدره وكبر شأنه ليعم الانتفاع به كما عم الانتفاع بموروثه صلي الله تعالي عليه وسلم، وإن كان في الفعل الواقع منه مضارعاً أي مشابهاً لأفعال أهل السلوك بأن تنزل إلي سماء الخمول وأرض الخضوع بالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين ضم أوله لآخره وفتح له قبل آخر عمره باب في الترقي أبدا سرمدا إلي ما لا نهاية له.

قال الله تعالي لسيد العارفين عليه الصلاة والسلام:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [سورة طه الآية: ١١٤].

وهو علي قسمين: ظاهر ومضمر.

ظاهراً لمن سبقت له العناية ووجبت له الولاية.

ومضمر: أي خفي عن من سبق له الخذلان، وخص بالخيبة والحرمان لا يعرفهم إلا من أكرمه الكريم المنان فلا يعرف العرائس المجرمون ولا يصل إليهم إلا من أراد الله أن يوصله إليه..

ولله در القائل حيث قال:

ومن نفا الخصوص في زمانه فذاك مكر زيد في خذلانه
يخفيهم في خلقه عن خلقه فذاك فاعلم من عظيم لطفه
لأنهم عرائس الرحمن يحجبهم عن كل ذي خذلان
ولم يوصل نحوهم بحكمته إلا الذي أَهَّلَهُ لحضرته
إن لم تلاقِ عارفاً في مدتك لا عاش عمرو عيشة كعيشتك

والظاهر هو الذي يظهر عليه خوارق وكرامات، والخفي من لم يظهر عليه ذلك.. وبالله التوفيق.

باب المبتدأ والخبر

المبتدأ هو الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية، والخبر هو الاسم المرفوع المسند إليه نحو قولك زيد قائم والزيدان قائمان والزيدون قائمون.

والمبتدأ قسمان: ظاهر ومضمر.

فالظاهر ما تقدم ذكره، والمضمر اثنا عشر وهي: أنا ونحن وأنتَ وأنتِ وأنتما وأنتم وأنتن وهو وهي وهما وهم وهنّ نحو: قولك أنا قائم ونحن قائمون وما أشبه ذلك.

والخبر قسمان: مفرد وغير مفرد.

فالمفرد نحو ما تقدم ذكره، وغير المفرد أربعة أشياء: الجار والمجرور والظرف والفعل مع فاعله والمبتدأ مع خبره، نحو قولك زيد في الدار، وزيد عندك، وزيد قام أبوه، وزيد جاريته ذاهبه.

الإشـارة الصوفيـة:

المبتدأ به والمنتهي إليه هو الحق جل جلاله قال الله تعالي: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد الآية: ٣]،وقال الله تعالي: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [سورة النجم الآية: ٤٢] والمبتدأ إشارة إلي الذات العلية الأزلية في حال الكنزية قبل التجلي لأن ما وقع به التجلي من الفروع الكونية أسماء لمسميات متعددة لفظاً متحدة معني وهي مسندة إلي ما وقع منه الإبتداء وهي الذات العلية الأزلية لأنها فرع عنها وتجل من تجلياتها، قال صاحب العينية:

تجلي حبيبي في فؤادي جماله ففي كل مرأي للحبيب طلائع
فلما تبدّي حسنه متنوعاً تسمي بأسماء فهن مطالع

وفي الحديث القدسي (كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت لهم فبي عرفوني) أي فأظهرت من سر الكنز خلقا وجعلت فيهم عقلاً فتعرفت لهم فعرفوني بي لا بغيري إذ لا شئ معي * فالمبتدأ هو الاسم المرفوع العظيم القدر العلي الشأن العاري عن العوامل أي المنزه عن التأثير والانفعال، إذ هو الواجب الوجود، السابق غير مسبوق، والعامل غير معمول، وهو المؤثر في الأشياء كلها بقدرته وإرادته وقهريته وإحاطته تعالي جده وتعاظم شأنه أن يلحقه نقص أو يحتاج إلي شئ بل هو الغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر الآية: ١٥].

والخبر هو الاسم المتحد بالذات وإن تعددت أسماؤه وهو ما وقع به التجلي من الفروع الكونية والتجليات الجلالية والجمالية المرفوعة القدر من حيث أنها سر من أسرار الذات ونور من نورها، وإن وقع في الظاهر نقص في بعض أنواعها، فمن جهة الباطن عين الكمال وفي ذلك يقول الجيلي رضي الله عنه:

وكل قبيح أن نسبت لفعله أتتك معاني الحسن فيه تسارع
يكمل نقصان القبيح جماله فما ثم نقصان ولا ثم باشع

المسند إليه فعلا وإيجاداوإختراعا وتجلياً، والمبتدأ قسمان ظاهر عند العارفين بظهور تجلياته فلا يرون معه غيراً كما قال الشاعر:

فلم يبقَ إلا الله لم يبق كائن فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أري بعيني إلا عينه إذ أعاين

ومضمر أي خفي عند الغافلين يستدلون بالأشياء عليه، وفي الحكم شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود

أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه * والخبر الذي ظهر للعيان من عالم الغيب إلي عالم الشهادة قسمان أيضاً: مفرد وهو ما ليس له مادة محصورة كالملائكة والجن، وغير مفرد: وهو ما له مادة محصورة وهو المركب من جسم ولحم ودم، أو من جواهر حية، والكل منه وإليه، وبالله تعالي التوفيق وهو الهادي إلي سواء الطريق.

باب العوامل الداخلة علي المبتدأ والخبر

وهي ثلاثة أشياء: كان وأخواتها وإن وأخواتها وظننت وأخواتها.

فأما كان وأخواتها فإنها ترفع الاسم وتنصب الخبر، وهي كان وأمسي وأصبح وأضحي وظل وبات وصار وليس وما زال وما انفك وما فتئ وما برح وما دام، وما تصرف منها نحو كان ويكون وكن وأصبَحَ ويصبح وأصبِحْ، تقول كان زيد قائماً، وليس عمرو شاخصاً، وما أشبه ذلك.

وأما إن وأخواتها فإنها تنصب الاسم وترفع الخبر وهي: إن وأن ولكن وكأن وليت ولعل، تقول إن زيداً قائمٌ، وليت عمراً شاخصٌ، وما أشبه ذلك.

ومعني إن وأن للتوكيد، وكأن للتشبيه، ولكن للاستدراك، وليت للتمني، ولعل للترجي والتوقع.

وأما ظننت وأخواتها فإنها تنصب المبتدأ والخبر علي أنهما مفعولان لها وهي: ظننت وحسبت وخلت وعلمت وزعمت ورأيت ووجدت واتخذت وجعلت وسمعت، تقول ظننت زيداً منطلقا وخلت عمراً شاخصاً، وما أشبه ذلك.

الإشـارة الصوفيـة:

نواسخ الابتداء إشارة إلي نواسخ الأحكام الذاتية التي تتعلق بالذات القديمة التي هي مبتدأ الأشياء ومنتهاها، والنسخ في أحكام الشريعة ومعناها انتهاء الحكم إلي

وقت معلوم، ثم يستأنف حكماً آخر علي سابق الإرادة، ويكون في شرائع الأمم وفي الشريعة الواحدة ينسخ بعضها بعضاً كما هو مقرر في محله، ويكون في الأقضية البارزة إلي عالم الشهادة فيظهر الله تعالي للملائكة أمور يعلقها علي أسباب وشروط أنها لا توجد، فإذا أراد الله تعالي أمراً أمر الملك الموكل بذلك الفعل بإبرازه، ثم أظهر خلاف ذلك ليظهر اختصاصه تعالي بالعلم الحقيقي الذي لا يتبدل ولا يتغير وهو أم الكتاب، فيقع النسخ بهذا المعني في السعادة والشقاوة والأعمار وغيرها من القضايا التي تبرز من عند الحق تعالي، ولذلك كان سيدنا عمر وابن مسعود يقولان: اللهم إن كنت كتبتني من أهل الشقاوة فامحني واكتبني من أهل السعادة.

وأما العلم الأصلي الذي هو الأم فلا يتبدل ولا يتغير ولا يصح النسخ في الأخبار لأنه يلزم عليه الكذب ويقع النسخ أيضاً في واردات القلوب الصافية فيتجلي في قلب الولي أمر فيخبر به ثم ينسخه الله تعالي ويظهر خلافه ولا يقدح ذلك في ولايته، ولا رتبته، وقد يشار هنا بالنسخ إلي تلوين الخمرة الأزلية بالفروع التكوينية ❊ فكان تشير إلي كان الله ولا شئ معه حيث لا شكل ولا رسم، وأمسي وأصبح وأضحي إلي تلوينها بمرور الفلك في الصباح والمساء والضحي ❊ ويشار بظل وبات إلي تليونها بمرور الليل والنهار ❊ وبصار إلي تلوينها بالظهور والبطون ❊ وبليس إلي تنزيهها كقوله تعالي: (ليس كمثله شئ) ❊ وبمازال وأخواتها إلي أنه تعالي ما زال وما يزول وما يحول عما كان عليه فالتغير عليه تعالي محال ❊ وبدام إلي دوام ربوبيته أذناً وأبداً ❊ ومن شان هذه الأفعال أن ترفع الاسم وتعظمه وتجله وهو الذي كان مبتدأ الأشياء وأصل ظهورها ورفعها له دلالتها علي تلوين الآثار وتنقلات الأطوار، فتدل بذلك علي عظمة الواحد القهار ❊ وتنصب الخبر الذي هو عبارة عن الأثر لجريان أحكام الواحد القهار.

وأما إن وأخواتها فتسير إلي أحوال الخلق البارزة من حضرة الحق، وذلك ما يعتريها من تأكيد الأمور والعزم عليها لإدراك نتائجها دينية أو دنيوية، إذ لا تدرك الأمور إلا بالعزم والجد وسيأتي الكلام عليها في باب التوكيد، وتشير أيضاً إلي ما يتركب بها من الرجاء والخوف والتمني والطمع الفارغ وقد نهي الله عنها فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة النساء الآية: ٣٢]، والمأمور به هو قوله تعالي: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة النساء الآية: ٣٢]، وأما ظننت وأخواتها فتشير إلي أحوال القلوب فإن منها ما يدخل فيه اليقين الكبير الناشئ عن الشهود والعيان وهو مقام عين اليقين وهذا مقام العارفين الراسخين في العلم بالله ولا سبيل له إلا بصحبته شيخ التربية والدخول تحت تربيته، ومنها ما يدخلها الظن القوي الراجح وهي قلوب أهل البرهان والاستدلال فتارة يقوي عليهم الدليل فيستشرفون علي عين اليقين، وتارة تتكرر عليهم الخواطر الرديئة فلا يبقي لهم إلا الظن القوي، ومنهم من تلعب بهم الشكوك والأوهام فيموتون علي الشك والعياذ بالله * ولقد نقل عن الرازي أنه كان يقول عند الموت: اللهم إيماناً كإيمان العجائز، وكتب إليه ابن العربي الحاتمي فقال: ائتني أعرفك الله قبل أن تموت جاهلاً فتنكره فيمن أنكره حين يتجلي بخلقه * وقال بعضهم إيمان أهل الكلام كالخيط المعلق في الهواء يميل مع كل ريح والعياذ بالله من الفتن وسوء المحن، وما رأيت أحداً حصل له اليقين الكبير الذي هو عين اليقين الناشئ عن الشهود والعيان في زماننا هذا إلا شيخ شيخنا قطب دائرة التربية النبوية مولايا العربي الدرقاوي الحسني وشيخنا البوزيدي وخواص أصحابهما رضي الله عنهم، وأما الباقي فكلهم في سجن الأكوان يستدلون بها علي المكون فتارة يقوي يقينهم ويتنور دليلهم فيحصلون علي علم اليقين، وتارة يضعف يقينهم فيتكرر عليهم الخواطر الرديئة والوساوس الشيطانية فيحصلون علي الظن القوي عالماً كان أو صالحاً أو عابداً أو زاهداً.. وبالله تعالي التوفيق.

التوابع

باب النعت

(النعت تابع للمنعوت في رفعه ونصبه وخفضه وتعريفه وتنكيره نحو: جاء زيدٌ العاقلُ، ورأيت زيداً العاقلَ، ومررت بزيدٍ العاقلِ).

والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المضمر نحو أنا وأنت، والاسم العلم نحو زيد ومكة، والاسم المبهم نحو هذا وهذه وهؤلاء، والاسم الذي فيه الألف واللام نحو الرجل والغلام، وما أضيف إلي واحد من هذه الأربعة.

والنكرة: كل اسم شائع في جنسه لا يختص به واحد دون آخر وتقريبه كل ما صلح دخول الألف واللام عليه نحو: الرجل والغلام والفرس.

الإشارة الصوفية:

الوصف تابع للموصوف لا يفترقان أبدا، وبعبارة أخري الصفة لا تفارق الموصوف فمهما ظهرت الصفات ظهرت معها الذات، ومهما انجلت الذات تجلت الصفات فانمحي حينئذ وجود الأثر بظهور المؤثر إذ الأثر لا يظهر إلا بقدرة وهي لا تفارق الذات فافهم وإلا فسلم ❋

ومنهم من يعبر عن هذا بقولهم: الذات عين الصفات وإنما أراد بالعين التلازم في الظهور وإلا فالذات سر لطيف لا تدرك، والصفات معني قائم بها، وإن شئت قلت: نعت الذات تابع لها في الكمالات، وعدم النهايات ❋ فكما أن الذات لا نهاية لها ولا

حصر فكذلك الصفات لا نهاية لها ولا حصر * فأسرار الذات وكمالاتها خارجة عن مدارك العقول وكذلك الصفات، أو تقول: نعت الذات في مظاهر التجليات تبع للمنعوت في تلوناته، فقد سئل الجنيد رضي الله عنه عن التوحيد فقال: لون الماء لون إنائه يعني ان أسرار المعاني حين تجلت في قوالب الأواني تلونت بتلون القوالب بين أبيض وأسود وأحمر وأصفر وأخضر إلي غير ذلك من ألوان الخمرة الإلهية في حال التجلي، وأما قبل التجلي فهو سر لطيف له قدرة علي التجلي كيف شاء وإنما اختلفت ألوانه بعد التجلي * قال الجيلي رضي الله عنه في عينيته:

وكـل اسـوداد فـي تصافيف طرة ... وكل احمرار في العوارض ناصع

تجلي حبيبي في مـراءي جمالـه ... ففي كـل مـرءي للحبيب طلائع

ثم قال:

واطلق عنان الحق في كل ما تري ... فتلك تجليات مـن هـو صانـع

ويدخل في بعض التلونات قول المصنف: النعت تابع للمنعوت في رفعه إن تجلي فيه باسمه الباطن فأنكره جل الخلق وهو في مقام عند الملك الحق، وقد أشار شيخ شيوخنا ومادة طريقتنا رئيس البحرية وإمام أهل الحضرة الأزلية سيدي علي العمراني المُكني بالجمل رضي الله عنه إلي هذا المعني في كتابه فقال ما نصه: انظر يا أخي وتأمل هذه الحضرة كيف كملت فيها الأوصاف وتوفرت فيها الشروط كيف كمل نقصانها كما كمل كمالها، فسبحان من أظهرها بالكمال في النقص والكمال حتي صار الكل كمالاً ولا نقصان، وانظر يا أخي ما أقربها في بعدها وما أبعدها في قربها وما أرفعها في وضعها وما أوضعها في علوها وما أكبرها في صغرها وما أصغرها في كبرها وما أقواها في ضعفها وما أضعفها في قوتها وما أغناها في فقرها وما أفقرها في غناها وما أعزها في ذلها وما أذلها في عزها.. إلي آخر كلامه، فقد اجتمعت الضدان بل الأضداد في مظهر واحد، إلي ذلك أشار الجيلي بقوله:

تجمعت الأضـــداد في واحـد منها وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع

ولا يفهم هذا إلا أهل الأذواق والجدان، وممن خاض في بحر الشهود والعيان، وحسب من لم يبلغ هذا التسليم.. وبالله تعالي التوفيق.

(تنبيــه)

قول أهل الحقيقة أن الضدين والأضداد تجتمع في محل واحد معناه مع اختلاف الحيثية والجهة، ثم إن الأضداد علي قسمين: أضداد عقلية وأضداد عادية مثالها النار والماء، والحر والبرد، والنهار والليل، وغير ذلك مما لا يمكن اجتماعهما عقلاً ويستحيل عادة ❊ أما الأضداد العقلية فلا تجتمع أبداً في محل واحد إلا مع اختلاف الحيثية كما تقدم، فالربوبية والعبودية قد يجتمعان في محل واحد كالآدمي مثلاً، فالعبودية من حيث الغالب الحسي، والربوبية من حيث المظهر المعنوي.

العبودية مرتبة علي الحس البشري، والربوبية مرتبة علي الأمر المعنوي، العبودية ظاهرة، والربوبية كامنة، وكذلك القدم والحدوث، القدم من جهة معناه، والحدوث من جهة حسه العارض ظهوره، وكذلك العز والذل والغني والفقر، فالعز والغني محلهما الظواهر، وقد تجتمع فيه في وقت واحد لكن مع اختلاف الجهة كما قلنا، ومن يقول إن الضدّين والأضداد تجتمع في محل واحد مع اتحاد الجهة والوقت فجاهل، لأن القدرة لا تتعلق بالمحال إذ لو تعلقت بالمحال للزم تعلقها بإعدام الذات العلية واثبات الشريك لله تعالي وهو هوس عظيم لا يقول به عاقل، وأما الضدان العاديان والأضداد العادية فيجوز اجتماعها في محل واحد، إذ القدرة صالحة لذلك ولم تقع في عالم الحكمة إلا معجزة كنار إبراهيم عليه السلام، وإنما وقع اجتماعها مفترقة المحل مع اتحاد الوجود عند أهل الباطن، فالماء في محل والنار في محل وكذلك الحر والبرد والموت والحياة والجنة والنار، ولو جمع الله ذلك في محل واحد لكان جائزاً ❊

وقول الجيلي رضي الله عنه:

تجعمت الأضداد مراده: الأضداد العقلية مع اختلاف الحيثية كما تقدم، والأضداد العادية مع افتراق الجهة في عالم الحكمة أو مطلقاً في عالم القدرة والوجود كله متحدٍ في ذات واحدة ومظهر واحد، كما قال الشاعر:

هذا الوجود وإن تعدد ظاهرا   وحياتكم ما فيه إلا أنتم

وقد اجتمعت فيه أضداد كثيرة عقلية وعادية لكن مع اختلاف الحيثية أو الجهة، فتحصل أن الأحكام العقلية الواجب والمستحيل والجائز لا تنخرم عند أهل الباطن، وإنما بعض الممكنات عند أهل الظاهر تصير واجبة عند أهل الباطن لجمعها بأصلها، ومشهود الحق فيها، والجائز عند أهل الباطن هو تلوين الخمرة علي سابق المشيئة والله تعالي أعلم.

والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المضمر نحو أنا وأنت، والاسم العلم نحو زيد ومكة، والاسم المبهم نحو هذا وهذه وهؤلاء، والاسم الذي فيه الألف واللام نحو الرجل والغلام، وما أضيف إلي واحد من هذه الأربعة.

والنكرة: كل اسم شائع في جنسه لا يختص به واحد دون آخر وتقريبه كل ما صلح دخول الألف واللام عليه نحو الرجل والغلام.

المعرفة بالله تظهر في خمسة أشياء فمن عرف الله تعالي فيها فهو عارف ومن جهلها أو أثبتها مع الله فهو تالف * أولها: الكنايات نحو أنا وأنت فما دمت تقول أنا أفعل أوأنت فعلت فأنت جاهل مشرك، وإن غبت عنك وعن غيرك فأنت موحد عارف.

ثانيها: أسماء الأشخاص والأماكن فإن عرفت الله فيها فأنت عارف، وإن أثبتها مع الله فأنت جاهل * الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته ما نصبت لك العوالم

لتراها بل لتري فيها مولاها * الثالث: المبهمات من الكائنات كهذا فعل كذا وهذه فعلت كذا، فمادام العبد ينسب التأثير للغير ويتوقع منه ضرر أو نفعاً فهو جاهل بالله * الرابع: المعرفة عند الناس بالرياسة والجاه كالحكام والقواد وغيرهما من أهل الرياسة الظاهرة، وكذلك أهل الرياسة الباطنة كالأولياء والصالحين، فمن عرف الله تعالي فيهم ورأي أنهم متصرفون تحت قهرية الحق يتصرفون بقدرته وإرادته ليس بيد أحد منهم شئ بل ولا وجود لهم مع الحق فهو عارف، وإن أثبت لهم ضرراً أو نفعاً ودخل قلبه منهم جزع أو خوف فهو جاهل بالله تعالي، دعواه أكبر من قدمه * خامسها: ما أضيف لواحد من هؤلاء كأصحاب العشائر، فهو بمنزلتهم لا حول لهم ولا تأثير كان الله ولا شئ معه وهو الآن علي ما عليه كان نِعم الإضافة لها تأثير في المضاف، فمن انضاف إلي أهل العز بالحق تعزز ودام عزه، ومن انضاف إلي أهل العز بالخلق أو بالمال مات عزه وعاقبه الذل، ولله در القائل حيث قال:

عليك بأرباب الصدور فمن غدا ... مضافاً لأرباب الصدور تصدرا
وإياك أن ترضي بصحبة ساقط ... فتنحط قدراً من علاك وتحقرا

وأرباب الصدور العارفون بالله الذين صدرهم الله تعالي لنفع عباده والدعاء إليه علي قدم رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم، والساقط هو الجاهل بالله وبأحكامه كائناً من كان، وكان الإمام مالك رضي الله تعالي عنه كثيراً ما ينشد هذا البيت:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

باب العطف

وحروف العطف عشرة وهي: الواو والفاء وثم وأو وأم وإما وبل ولا ولكن وحتي في بعض المواضع فإن عطفت بها علي مرفوع رفعت أو علي منصوب نصبت أو علي مخفوض خفضت أو علي مجزوم جزمت، تقول قام زيدٌ وعمروٌ ورأيتُ زيداً وعمراً ومررتُ بزيدٍ وعمروٍ وزيدٌ لم يقم ولم يقعدْ.

الإشارة الصوفية:

علامة العطف من الله تعالي علي عبده عشرة: هدايته وتوفيقه وحفظه وتوليته وتقريبه من حضرته وكشف حجابه وانتقامه من أعدائه وقيامه بشؤنه بلا تعب وقذف محبته في قلوب عباده وانتهاض القلوب بهمته وحاله وكلامه ❋ وعلامة العطف من العبد علي مولاه: امتثال أمره واجتناب نهيه والإكثار من ذكره والاستسلام لقهره ومحبة كلامه ومحبة رسوله صلي الله تعالي عليه وسلم ومحبة أهل بيته ومحبة أوليائه وصحبتهم وخدمتهم والثقة بربه والتوكل عليه في جميع أموره وعدم التدبير والاختيار مع ربوبيته والرضا والتسليم بجميع أحكامه الجلالية والجمالية وتحقيق معرفته ودوام شهوده والحضور معه في جل أوقاته، فهذه علامة محبة الجانبين، وقال الشيخ من جهة الإشارة وحروف العطف عشرة أي أسبابها وهي: واو الجمع أي جمع القلب بالله والجمع مع أهل الله وفاء الترتيب وهي ترتيب وظائف العبودية في الظاهر علي ترتيب الشريعة، فلولا الورد ما كان وارداً ولا ينكر الورد إلا جهول ❋ وثم التي تدل علي المهلة وعدم العجلة، فالتأني من الله والعجلة من الشيطان، ومن تأني أصاب أو كاد، ومن استعجل أخطأ أو كاد، كما في الحديث: وكان الولي

المكاشف المجذوب سيد أحمد أبو سلهام كثيراً ما ينشدني هذا البيت حين أدخل عليه في حال الشباب:

تـــأنَ ولا تعجل لأمـــر تريـده وكن راحما بالخلق تبلي براحمِ

وأو التي تفيد التخيير، فإذا خيره سيده اختار العبودية علي الحرية، فبقدر ما يتحقق بالعبودية في الظاهر تتحقق له الحرية في الباطن، والعبودية هي السفليات دون العلويات والإباحة فيبيح ما له وعرضه لجميع الخلق كأبي خمار أو ما ذكر في بعض الكتب كأبي ضمضم، فالصوفي ماله مباح ودمه هدر * وأم للتقسيم فيقسم ما جعله الله علي يديه من الأرزاق الحسية والمعنوية، كالعلوم والأسرار علي من يستحقها ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [سورة البقرة الآية: ٦٠]، فيخاطب كل واحد علي قدر فهمه وعقله أو الإبهام فيبهم فيهم أمره ويكتم سره اكتفاء بعلم الله تعالي، استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل علي عدم صدقك في عبوديتك.

والتشكيك في الولاية بعد التعرض لأسباب الظهور، وفي ذلك يقول سيدي عبدالرحمن المجذوب رضي الله تعالي عنه:

أحفر لسرك ودك في الأرض سبعين عاما خل الخلائق تشك إلي يوم القياما

وبل للإضراب وهو إضرابه عن الدنيا وأهلها إلي مولاه، فبقدر ما يغيب عن حس الظاهر تشرق عليه أنوار الباطن، قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالي عنه: غِبْ عن حس ظاهرك إن أردت فتح باطنك * وأم التي يطلب بها التعيين وهو تعيين الحق فيتبع من الباطل فيجتنب، أو تعيين طريق السلوك فيسلكها علي يد أهلها أو التسوية فيستوي عنده الذهب والتراب في عدم الرغبة، والذل والعز والفقر والغني، والمدح والذم والمنع والعطاء وهكذا تستوي عنده الأحوال فيتحقق بمقام الاستواء الذي يتأهل به للولاية الكبري ما جري ويجري فيه * وبل تشير إلي إضراب المريد عن الكون غيبة في المكون فناء وشهوداً * ولا تنفي السوي وتثبت المولي، فتقول الحق

موجود لا غيره * ولكن تشير إلي استدراك ما فات من العمر في البطالة والتقصير بالجد فيما بقي، والاجتهاد والتشمير، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم بقية عمر المؤمن يدرك بها العبد ما فات ويحي ما أمات * وحتي تشير إلي انتهاء السير بالوصول إلي غاية المعرفة والتمكين عن دوام الشهود، فإن عطفت بها علي مرفوع في درجات القرب رفعت أي زدت في رفعة * أو علي منصوب للتوجه والسير نصبت به حتي وصلت * أو علي مخفوض للهوي والنفس بالمجاهدة والمكابدة خفضتهما له أي أعنته عليهما * أو علي مجزوم للسير طالب للوصول جزمته وشددت عقده حتي يشاهد أسرار ذاته وأنوار صفاته.. وبالله تعالي التوفيق.

باب التوكيد

(التوكيد تابع للمؤكد في رفعه ونصبه وخفضه وتعريفه وتنكيره، ويكون بألفاظ معلومة وهي: النفس والعين وكل وأجمع وتوابع أجمع وهي: أكتع، وأبتع، وأبصع، تقول قام زيدٌ نفسهُ، ورأيتُ القومَ كلهم، ومررتُ بالقومِ أجمعين).

الإشارة الصوفية:

التوكيد في الأمور والعزم عليها والجد في طلبها تابع للمؤكد المطلوب، فإن كان أمراً رفيعاً عظيماً كمعرفة الله ورسوله بالعيان فالتوكيد والعزم يكون بليغاً عظيماً، فالحضرة مهرها النفوس، فبزل النفس والمهج قليل في حقها، فالله تعالي عزيز لا ينال إلا بدفع العزيز عندك وهو نفسك فبقدر اتعابها تكون راحتها، وبقدر بيعها والغيبة عنها يعظم مقامها فبقدر الكد والجد ندرك المعالي كما قال الشاعر:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلي سهر الليالي
تريد العزم ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللآلي

وإن كان المؤكد أي المطلوب متوسطاً كعلم الرسوم وحفظ القرءان، فالتوكيد والعزم يكون متوسطاً فقد يدركه أهل الرياسة والجاه وأهل الأسباب والشواغل القلبية بخلاف المقام الأول، فلا يدركه إلا أهل التجريد ظاهراً وباطناً، وإن كان المؤكد أمراً دنيوياً فالتوكيد والجزم فيه علي قدر الهمة، هذا إشارة إلي قوله تابع للمؤكد في رفعه في المقام الأول مع المقربين، ونصبه أي توسطه في المقام الثاني

مع الأبرار والصالحين، وخفضه في المقام الثالث مع الغافلين، ويتبعه أيضاً في تعريفه فبقدر كده واجتهاده يكون تعريفه وكشف الحجاب عنه، وقد يتبعه في تنكيره إن قلت مجاهدته وتفرغه فيتنكر الحق له علي قدر شغله عنه، ويكون التوكيد والجد في الطلب بالنفس أي ببيعها وبذلها للحتوف والمكاره أولاً وبالغيبة عنها ثانياً، ويكون بالعين أي بالذات بإتعابها في مرضات الله، وبالكل أي بالنفس والروح وكل ما تملكه تهبه لله ولمن يعرفك بالله.. وبالله تعالي التوفيق.

باب البدل

(إذا أبدل اسم من اسم، أو فعل من فعل تبعه في جميع إعرابه، وهو أربعة أقسام: بدل الشئ من الشئ، وبدل البعض من الكل، وبدل الاشتمال، وبدل الغلط، نحو قولك قام زيدٌ أخوك، وأكلتُ الرغيفَ ثلثه، ونفعني زيدٌ علمه، ورأيت زيداً الفرس أردت أن تقول الفرس فغلطت فأبدلت زيداً منه).

الإشارة الصوفية:

إذا أبدل اسم من اسم في مقام الفناء في الذات فيترقي من اسم العبد إلي اسم الرب حين تستولي عليه أنوار الحقائق فيغيب العبد في وجود الرب وهو مقام الوصال والاتصال يغطي الحق وصف عبده بوصفه ونعته بنعته فيوصله بما منه إليه لا بما من العبد إليه فيغطي وصف العبودية بوصف الربوبية ونعت الحدوث بنعت القدم فيفني الحادث ويبقي القديم ❁ أو فعل من فعل في مقام الفناء في الأفعال فلا يري فاعلاً قط إلا الله، وفي هذا المقام قال الشاعر:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً   رأيت جميع الكائنات ملاحاً

وهذا بداية السالكين ونهاية الصالحين ووسطه الفناء في الصفات للمستشرفين (قال القطب ابن مشيش رضي الله عنه): حقيقة الشراب أي خمر المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأفعال بالأفعال، والأسماء بالأسماء، والأنوار بالأنوار.. إلي آخر كلامه.

والمقصود بالأنوار: الذات بالذات ومعناه الغيبة في الله عما سواه، وقال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ: لله رجال محوا أوصافهم بأوصافه وأفعالهم بأفعاله وذواتهم بذاته وحملهم من الأسرار ما تعجز عنه عامة الأولياء.. انتهي.

فإذا أبدل اسمه باسمه وفعله بفعله تبعه في جميع تجلياته فإذا تجلي سبحانه باسمه القابض انقبض وينقبض الوجود بقبضه، وإذا تجلي باسمه الباسط انبسطت وينبسط الوجود ببسطه لأنه خليفة الله في أرضه، فكل ما يتجلي به تعالي في قلب العارف الذي هو بدل من الله في ملكه وتصريفه يتجلي هو في الوجود بجلاله وجماله، وهو علي أربعة أنواع: إما أن يكون بدلاً من الحق ونائباً عنه في الكل وهو مقام الغوث الجامع لأن المدد كله منه للدائرة كلها حساً ومعناً، وإما أن يكون بدلاً منه في البعض كمقام الأقطاب والأوتاد والأبدال والنجباء والنقباء والصالحين، فإنهم يتصرفون في بعض المملكة علي حسب ما ملكهم الله التصرف فيه، وإما أن يكون بدلاً منه لاشتماله علي علوم وأنوار وأسرار لم توجد لغيره، وهذا مقام الأفراد، فإن الفرد أكبر من القطب الجامع في العلم بالله، قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ: كان الجنيد قطباً في العلوم وكان البسطامي قطباً في الأحوال وكان سهل قطباً في المقامات.. انتهي.

وقد يكون ذلك البدل دعوي وغلطاً فيترامي علي مقامات الرجال بالدعوي والغلط، وهو بعيد منها والعياذ بالله تعالي من الدعاوي العريضة من القلوب المريضة.. وبالله تعالي التوفيق.

بــاب منصوبات الأسمـاء

(المنصوبات خمسة عشر وهي: المفعول به والمصدر وظرف الزمان وظرف المكان والحال والتمييز والمستثني واسم لا والمنادي والمفعول من أجله والمفعول معه وخبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها، والتابع للمنصوب وهو أربعة أشياء: النعت والعطف والتوكيد والبدل).

الإشـارة الصوفيـة:

المقامات المنصوبة للمريد إذا قطعها وصل خمسة عشر: التوبة ثم التنبه ثم الاستقامة وهي متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله وأحواله ثم الخوف ثم الرجاء ثم الصبر والشكر أي الصبر علي البلية والشكر علي النعمة من حيث أنها نعمة ثم الورع ثم الزهد ثم التوكل ثم الرضا ثم التسليم ثم الإخلاص والصدق وهو التبري من حوله وقوته ثم الطمأنينة ثم المعرفة ثم المحبة ثم المشاهدة وهي الرسوخ والتمكين من شهود الحق..وبالله تعالي التوفيق.

بـاب المفعـول بـه

(وهو الاسم المنصوب الذي يقع به الفعل نحو قولك ضربتُ زيداً، وركبتُ الفرسَ، وهو قسمان: ظاهر ومضمر، فالظاهر ما تقدم ذكره، والمضمر قسمان: متصل ومنفصل، فالمتصل اثنا عشر وهي: ضربني وضربنا وضربكَ وضربكِ وضربكما وضربكم وضربكن وضربه وضربها وضربهما وضربهم وضربهن، والمنفصل اثنا عشر وهو: إياي وإيانا وإياكَ وإياكِ وإياكما وإياكم وإياكن وإياهُ وإياها وإياهما وإياهم وإياهن).

الإشـارة الصوفيـة:

المفعول به: هو الذي تحقق فناؤه وكمل بقاؤه بالله قد غاب عن وجوده ووجود فعله وهو مفعول به في كل ما يفعل ويذر ليس له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار، فعله بالله وتركه بالله فمثل هذا لم يبقَ عليه ميزان ولا يتوجه عليه عتاب إذ هو نائب عن الله في فعله وهو عين من عيون الله، لن وصفهم البشري مغطي عنهم ومغمور بنور القدم وإلي ذلك يشير ما ورد من قولهم: الشأن أن تكون عين لاسم أي عين مسمي، وقولهم: أصابتك عين من عيون الله، ومن قول سيدنا عمر رضي الله تعالي عنه للرجل الذي شبحه أي ألقاه ممدوداً بين خشبتين مغروزتين بالأرض يفعل ذلك بالمضروب والمصلوب، قال سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالي عنه والدم يسيل من شجته أصابتك عين من عيون الله بعد أن سأله عن سبب الضربة فقال: رأيته مفاوضاً لإمرأة فساءني ما سمعت منه فضربته، وورد عن أبي بكر رضي الله تعالي عنه وأرضاه في قضية أخري: إني لا أقيد من وزعه الله والوزعة كبراء

الجيش الذين يمشون بين صفوف الحرب لتقويمها وتمهيدها، وذلك إشارة منهم إلي رجال القبضة المتصرفين بالله الأمناء علي أسرار الله في خليقته ومملكته وهم المحبوبون الذين ورد فيهم (فإذا أحببته كنت هو)، وقول المصنف رحمه الله: وهو الاسم المنصوب بجريان المقادير عليه لم يبق له تدبير ولا اختيار وهو الذي يقع به الفعل مع الله وهو آلة لفعله وسيف من سيوفه ينتقم به من أعدائه إذا شاء * وهو علي قسمين: ظاهر معروف أظهره الله لنفع عباده وإقامة الحجة عليهم بالإنذار، ومضمر خفي وهو: كنز من كنوز الله منّ به علي خلقه وهو مستور تحت أستار البشرية حتي يلقي الله.. وبالله تعالي التوفيق.

باب المصدر

(هو الاسم المنصوب الذي يجئ ثالثاً في تصريف الفعل نحو ضرب يضرب ضرباً، وهو قسمان: لفظي ومعنوي، فإن وافق لفظه لفظ فعله فهو لفظي نحو قتلتهُ قتلاً، وإن وافق معنا فعله دون لفظه فهو معنوي نحو جلستُ قعوداً، وقمتُ وقوفاً وما أشبه ذلك).

الإشارة الصوفية:

المصدر ما صدر عن الحق من أنوار تجلياته وأسرار ذاته وهو المنصوب أي ما نصب من الكائنات ليعرف بها ويشهد فيها فما نصبت الكائنات لتراها بل لتري فيها مولاها.

(قال صاحب العينية)

فأوصافه والاسم والأثر الذي هو الكون عين الذات والله جامع

وقال فيها أيضاً:

هو الموجد الأشياء وهو الموجد وعين ذوات الكل وهو الجوامع

وإنما يجئ هذا ويكشف عن تصريف الفعل ثالثاً في فعل الشريعة والطريقة والحقيقة، فتشتغل النفس أولاً بالشريعة حتي ترتاض بها وتذوق حلاوتها، ويشتغل القلب ثانياً بأفعال الطريقة فيتخلي من الرزائل ويتحلي بالفضائل وتشتغل الروح ثالثاً بالفكرة في تحرِّ الحقائق حتي تستمر معها ويرسخ قدمها في شهود أنوارها ❋ وهو أي ما صدر من الكائنات علي قسمين: قسم غلب معناه علي حسه فصار معنوياً

كالملائكة والعارفين من بني آدم، وقسم غلب حسه علي معناه كالجمادات، ويلحق بهم من غلب حسه علي معناه وشهوته علي عقله من بني آدم وهم المنهمكون في الغفلة، المنكبون علي الدنيا بالكلية فانطمست بصيرتهم واتسعت دائرة حسهم فهم مسجونون بمحيطاتهم، محصورون في هيكل ذاتهم عائذاً بالله من حالهم * قال بعض العارفين: الخلق ثلاثة أقسام: قسم لهم عقل بلا شهوة وهم الملائكة، وقسم لهم شهوة بلا عقل وهم البهائم وسائر الحيوانات، وقسم لهم شهوة وعقل وهم بنو آدم فمن غلب عقله علي شهوته كان كالملائكة أو أفضل، ومن غلبت شهوته علي عقله كان كالبهائم أو أضل وما شرف الله الآدميّ وكرمه إلا بمجاهدة نفسه فمن جاهد نفسه وزجرها حتي ملكها وظفر بها كان أشرف من الملائكة إذ لا مجاهدة لهم فلا تكمل مشاهدتهم كمال الآدمي.. وبالله تعالي التوفيق.

باب ظرف الزمان وظرف المكان

(ظرف الزمان هو اسم الزمان المنصوب بتقدير في، نحو: اليوم والليلة وغدوة وبكرة وسحراً وغداً وعتمةً وصباحاً ومساءً وأبداً وأمداً وحيناً وما أشبه ذلك، وظرف المكان هو اسم المكان المنصوب بتقدير في، نحو: أمام وخلف وقدام ووراء وفوق وتحت وعند ومع وإذاء وحذاء وتلقاء وثَمّ وهنا وما أشبه ذلك).

الإشارة الصوفية:

اعلم أن الوجود المتجلي به كله ظروف وأواني لأسرار المعاني ولذلك قال التستري: لا تنظر إلي الأواني وخض بحر المعاني لعلك تراني، والأواني عين المعاني إذ لا تثنية في الوجود ولذلك قال أيضاً

نطقي من خلف تلك الأواني وإني دائم كل الأواني، فالكون كله كثلجة والثلجة ظاهرها ثلجة جامدة وباطنها ماء مائع، كذلك الكون ظاهره كون كثيف وباطنه سر لطيف، ظاهره كون وحقيقته مكون، وفي ذلك يقول الجيلي رضي الله تعالي عنه في عينيته:

وما الكون في التمثال إلا كثلجة ... وأنت بها الماء الذي هو نابع
وما الثلج في تحقيقنا غير مائه ... وغيرية حكم دعته الشرائع

وقال القطب ابن مشيش ﷺ مخاطباً لوارثه أبي الحسن ﷺ: يا أبا الحسن حدد بصر الإيمان تجد الله تعالي في كل شئ وعند كل شئ ومع كل شئ وقبل كل شئ وبعد كل شئ وفوق كل شئ وتحت كل شئ وقريباً من كل شئ ومحيطاً بكل شئ، والمراد بالقرب هو وصفه وبالإحاطة هي نعته وعَدِّ عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب في المسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هُو هُو كان الله ولا شئ معه وهو الآن علي ما عليه كان.. انتهي.

(وقوله وعُدّ عن الظرفية إلي آخره) أي وجاوز عن الظرفية فلا تعتقد أن الحق مظروف لشئ أو محدود بشئ لأن الظرف عين المظروف، والذات العلية عمت كل شئ وأحاطت بكل شئ ومحت وجود كل شئ، وفي الحكم: كيف يحتجب الحق بشئ والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر.. انتهي.

(وقوله عن الدور بالمخلوقات) اعلم أن الأسرار اللطيفة الباقية علي كنزيتها لا شك أنها محيطة بالأنوار التي وقع التجلي بها ودائرة بها لكن لما كانت هي عينها ومتدفقة منها صار الكل بحراً متصلاً رتقاً منطبقاً وصارت الدائرة عين المدار عليه، ولذلك قال: وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن إذ لا يخرج شئ من هذه الأسماء الأربعة فهو أول كل شئ وآخر كل شئ والظاهر بكل شئ والباطن في كل شئ.

(قوله وهو هُو هُو) الأول يشير إلي الوجود الأول الأزلي قبل التجلي، والثاني إلي حاله بعد التجلي، والثالث إلي حاله بعد طي هذا التجلي وإظهار تجلٍّ آخر يدوم وجوده وظهوره وهو المعبر عنه بالآخر * وقال بعض العارفين في هذا المعني: الحق تعالي منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصور ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفه صار في

كل شئ ولنوريته ظاهر في كل شئ ولإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف غير مقيد بذلك ومن لم يذق هذا ولم يشهده فهو أعمي البصيرة محروم عن مشاهدة الحق تعالي ولا يفهم هذه الأسرار ولا يذوقها إلا من صحب الرجال وقبّل التراب من تحت أقدامهم، ومن لم يقدر علي هذه فليسلم للرجال في ما رمزوا له وأشاروا إليه بقولهم:

وإذا لم تَرَ الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

ولله در ابن الفارض رضي الله عنه حيث يقول:

ولا تَكُ ممن طيشته دروسه بحيث استقلت عقله واستفزت
فَثَمّ وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته مني وعني أخذته ونفسي كانت من عطاء ممدتي

وإذا تنزلت إلي عالم الحكمة وهو عالم التشريع وجدت الظروف متفاوته في الشرف والعلو علي حسب مظروفاتها أشباحاً كانت أو أزمنة أو أمكنة فالأشباح تعظم بشرف الأرواح، فإن كانت الروح عارفة بالله مكاشفة لأسرار الذات كان البدن الذي احتوي عليها عظيماً شريفاً يقتبس منه الأنوار والأسرار ويتبرك به حياً وميتاً ويزدحم الناس علي قبره ويستشفي بترابه وإن كانت عالمة بأحكام الله كان لها شرف دون ذلك، وكذلك إن كانت عالمة حاملة لكتاب الله كان لها شرف ذلك، ثم عامة المؤمنين، وإن كانت لا أيمان لها كان جسدها جيفة لا قدر له ولا قيمة، وأما الأزمنة فتعظم أيضاً بقدر ما يقع فيها من الطاعة والإحسان كليلة القدر والليالي العشر ويوم عرفة وأيام العشر ويوم عاشوراء وليلة المولد لأنه ظهر فيه سيد الوجود ﷺ، فالظرف تابع للمظروف في الشرف وضده، ولذلك كانت أوقات العارفين كلها ليلة القدر لأنها كلها عندهم عظيمة لاشتمالها علي العبادة الكبيرة، وهي شهود الحبيب والقرب منه، وفي ذلك يقول الشاعر:

لـولا شـهـود جمالكم فـي ذاتـي   مـا كنت أرضـي سـاعـة بحياتي
مـا ليلة الـقـدر المعظم شأنهـا   إلا إذا عـمـرت بـكـم أوقـاتـي
إن المحب إذا تمكن في الهوي   والـحـب لـم يحتج إلـي ميقـاتِ

وقال آخر:

وكـل الليالي ليلة القدر ان دنت   كما كـل أيـام اللقا يـوم جمعة

(وكان) الشيخ المرسي ﷺ يقول نحن والحمدلله تعالي أوقاتنا كلها ليلة القدر لأن عبادتهم التي كانوا يعمرون بها أوقاتهم كلها فكرة واعتبار وشهود واستبصار وتفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة كما في الحديث وكذلك الأمكنة تعظم بقدر ما يقع فيها من الطاعات كجبل عرفة والمساجد الثلاثة ثم المساجد الباقية والزوايا وخلوات الأولياء ونحو ذلك مما عظمته الشريعة، وعند العارفين الأماكن كلها عرفة لأن الأماكن تتشرف بهم وتطيب بحضورهم وفي ذلك قال الشاعر:

وسـعـي لـه حـج بـه كـل وقفـة   علي بابه قـد عـادلـت ألـف حجة

أي وسيري إليه حج والوصول إليه والوقوف بباب حضرته وقفة تعدل ألف وقفة بعرفة، وهذا كما قال الآخر:

كـل وقـت مـن حـبـيـبـي   قـدره كـألـف حـجـة

وينخرط في سلك هذا القول تفضيل آيات القرآن بعضها علي بعض وذلك علي حسب ما تدل عليه من تعظيم الربوبية وكشف حجابها وكذلك تفضيل الأذكار بهذا المعني وتفضيل بعض الصلاة علي النبي ﷺ علي بعض بحسب ما تدل عليه من تعظيم الرسول وتمجيده صلي الله تعالي عليه وسلم.. وبالله تعالي التوفيق.

باب الحال

(الحال هو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الهيآت نحو قولك جاء زيدٌ راكباً، وركبتُ الفرسَ مسرجاً، ولقيتُ عبداللهِ راكباً، وما أشبه ذلك، ولا يكون الحال إلا نكرة ولا يكون إلا بعد تمام الكلام ولا يكون صاحبها إلا معرفة).

الإشارة الصوفية:

الحال عند الصوفية وارد يرد علي القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها، وتدهش الروح وتهين وتسكر ويظهر ذلك علي الجوارح فيهتز الرأس ويشطح البدن ويقال فيه الوجد وربما وقع صاحبه في المهالك وهو لا يشعر * وقد حكي أن الشبلي رضي الله عنه أخذه حال في وضع مقصبة فيه بقية من قطع قصب فقام عليها فدخلت في رجله فمات من ذلك، وقد مات كثير من الصوفية بالحال.

(وقد أشار الشيخ أبو مدين رضي الله تعالي عنه إلي شئ من ذلك حيث قال:

فقل للذي ينهي عن الوجد أهله ... إذا لم تذق معني شراب الهوي دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلي اللقا ... تراقصت الأشباح يا جاهل المعني
اما تنظر الطير المقفص يا فتي ... إذا ذكر الأوطان حن إلي المغني
يفرج بالتغريد ما بفؤاده ... فتطرب أرباب العقول إذا غني
ويرقص في الأقفاص شوقاً إلي اللقا ... فتضطرب الأعضاء في الحس والمعني
كذلك أرواح المحبين يا فتي ... تهززها الأشواق للعالم الأسني
أنلزمها بالصبر وهي مشوقة ... وهل يستطيع الصبر من شاهد المعني
فيا حادي العشاق قم واحد قائماً ... وزمزم لنا باسم الحبيب وروحنا

ومن سرنا في سكرنا عن حسودنا وإن أنكرت عيناك شيئاً فسامحنا
فإنا إذا طبنا وطابت قلوبنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
فلا تلم السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

وبعد الحال المقام وهو السكون والطمأنينة بالخروج من السكر إلي الصحو فتطمئن الروح وتسكن في مقام المشاهدة في مقعد صدق عند مليك مقتدر * وفي هذا المقام قيل للجنيد مالك كنت تتحرك عند السماع وترقص واليوم لم يظهر عليك شئ من ذلك فقرأ:

« وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ » سورة النمل الآية: ٨٨]، ومنهم من يبقي في الحال بعد تمكنه في الشهود فيكون قطباً في الأحوال كما تقدم عن البسطامي إلا أن صاحب المقام يؤهل للإقتداء والإهتداء بخلاف صاحب الأحوال فلا يقتدي به في حال سكره وقل من ينجح علي يديه لصعوبة تربيته كحال أبي الشتاء الخمار فقد حكي أنه كان يعلق المريد رأسه أسفل ورجله فوق ويوقد النار تحته فأول السير علم ثم عمل ثم حال وهو الذوق ثم الشرب ثم السكر ثم المقام وهو الصحو ويقال الأحوال مواهب والمقامات مكاسب وكسبها هو تقدم الأحوال عليها كأنها نتائجها، وكون الأحوال مواهب يعني بعد التحرك في جلبها كخرق العوائد وحضور حلق الذكر والسماع مع تفرغ الباطن من العلائق، وقد تكون الأحوال ظلمانية أو نفسانية أو شيطانية فإن أهل اللهو قد ينجذبون فيقطعون الليل والنهار واقفين في لهوهم غائبين عنهم * والأحوال الربانية هي التي تنشأ عن ذكر الله تعالي من القلوب المنورة وعن سماع ما يحرك إلي الحضرة وقد تنشأ عن سماع اللهو إذا كان عارفاً يصرفه من الباطل إلي الحق كما وقع للرجل الذي سمع القائل يقول:

إذ العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار   فقد ضاق الزمان علي الصغار

فهام علي وجهه وذهب إلي مكة فبقي بها مجاوراً حتي مات ﷺ فُهِمَ أن العمر إذا ذهب جله فقد قرب الأجل وضاق الزمان علي العبادة الصغري فيطلب الموضع الذي تكون فيه العبادة الكبري، فتضاعف فيه الأعمال، وهذا الرجل كان من العلماء المجتهدين، ولو كان من العارفين لما احتاج إلي ذهاب مكة بل عبادة القلوب مضاعفة بأضعاف كثيرة في أي موضع كانت، ولذلك قال بعضهم: الذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، وقال عليه الصلاة والسلام: (ركعة من عالم بالله أفضل من ألف ركعة من جاهل بالله) ورد في الجامع الصغير.

(ولنرجع إلي ما كنا بصدده من الإشارة فنقول) الحال هو الاسم أي الوصف الفضلة لأنه موهبة ومحض فضل * المنتصب للمريدين السائرين يرقيهم من حال إلي حال ومن مقام إلي مقام، وأول الأحوال وارد الإنتباه فينتبه من نوم البطالة والتقصير إلي حال الجد والتشمير، ثم وارد اليقظة فينتبه من نوم الغفلة إلي حال الذكر الدائم ثم وارد السير فيتجرد من العلائق لتشرق عليه أنوار الحقائق، ثم وارد الوصال فيخرج من سجن الأكوان إلي شهود المكون * وقد أشار في الحكم إلي بعض هذا فقال: أورد عليك الموارد ليخرجك من سجن وجودك إلي فضاء شهودك * المفسر لما انبهم من هيآت الرجال في سرائرهم فما كمن في السرائر ظهر في شهادة الظواهر وتنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال * فمن كانت أحواله صافية موافقة للشريعة المحمدية علمنا أن باطنه صافٍ لا تخليط فيه ومن كانت أحواله ظلمانية مخالفة للشريعة المحمدية علمنا أن باطنه ظلماني لا صفاء فيه، فصفاء الظاهر من صفاء الباطن وتخليط الظاهر من تخليط الباطن، ما تنضح الأواني إلا بما سكن فيها والأحوال الصافية تظهر نتائجها علي صاحبها، فالوارد الرباني يثمر أحوالاً سنية فيعقبه الزهد والورع والخشية والهيبة والرزانه والطمأنينة

والسكينة والوقار والتواضع والسخاء والكرم وغير ذلك من الأحوال الحسنة والشيم الذكية، والوارد النفساني والشيطاني تعقبه القساوة والفظاظة والتكبر والصول علي الناس والرغبة في الدنيا والجاه وغير ذلك من الأخلاق الذميمة، وفي الحكم لا تذكينا وارداً لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الإمطار وإنما المراد منها وجود الأثمار * وفي الخلاصة أن من أوصاف الحال النحوية الانتقال والاشتقاق فقال:

وكونه منتقلاً مشتقا يغلب لكن ليس مستحقا

وقالت الصوفية: إنما سمي الحال حالاً لتحوله وانتقاله، فالحال لا يدوم بصاحبه وإنما هو ممطر علي القلوب غيث المعارف وعلم الغيوب والأسرار والكشوفات والأنوار، فإذا أودع ما فيه أقام فلا يطمع في دوامه بل استغني بالله عن كل شئ فليس يغنيك عنه شئ، وفي الحكم لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك في الله غني عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ فكن عبداً لله بلا علة ولا تكن عبد الحال الفاني لا يغني، ومعني اشتقاقه عندهم طلبه واستجلابه لسبب يحركه كما تقدم.. وبالله تعالي التوفيق.

باب التمييز

(التمييز هو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الذوات نحو قولك تصبب زيدٌ عرقاً، وتفقأ بكرٌ شحماً، وطابَ محمدٌ نفساً، واشتريتُ عشرينَ غلاماً، وملكتُ تسعينَ نعجةً، وزيدٌ أكرمُ منك أباً وأجملُ منكَ وجهاً، ولا يكون التمييز إلا نكرة ولا يكون إلا بعد تمام الكلام).

الإشارة الصوفية:

لا يكون العارف عارفاً حتي يحصل له التمييز بين الضدين اللذين وقع بهما التجلي فيميز بين الربوبية والعبودية في مظهر واحد وبين الروحانية والبشرية وبين الحس والمعني وبين القدرة والحكمة وبين الأمر والخلق وبين الشريعة والحقيقة وبين الفناء والبقاء وبين السكر والصحو، وهكذا سائر الأضداد الموجودة في الكون الذي وقع به التجلي بين الربوبية والعبودية، فالربوبية محلها البواطن، والعبودية محلها الظواهر، وهذا من عجائب أسرار الربوبية إن ظهرت في قوالب العبودية ولذلك تعجب صاحب الحكم العطائية حيث قال:سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية.

(وقال الحلاج رضي الله عنه) سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب * ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب * حتي لقد عاينه خالقه كلحظة الحاجب بالحاجب * ولعدم فهم كلام الحلاج قتله أهل الظاهر ووافقهم أهل الباطن لإفشائه السر وهو قاله الله حقا * وأما الروحانية والبشرية فالروحانية قائمة بالبشرية قيام الماء بالعود الرطب منسوبة إلي الروح، فالبشرية محل التكليف والروحانية محل

التعريف، البشرية محل العبودية والروحانية محل شهود الربوبية، فإذا استولت الروحانية علي البشرية وكستها اكتساء النار للجمر صار صاحبها روحانياً سماوياً وعلامته أنه لا تجول روحه دائماً إلا في أنوار التوحيد وأسرار التفريد، وإذا استولت البشرية علي الروحانية صار صاحبها بشرياً أرضياً وعلامته جولان روحه غالباً في حس الكائنات وكلامه دائماً في الفروقات، وأما الحس والمعني فالحس ما ظهر للبصر من حس الأواني، والمعني ما انكشف للبصيرة من أسرار المعاني، فمن وقف مع حس الأواني كان محجوباً عن الله، ومن نفد إلي شهود المعاني كان عارفاً بالله.

وفي ذلك يقول الششتري رضي الله عنه:

لا تنظر إلي الأواني وخض بحر المعاني لعلك تراني، وقال أيضاً رضي الله عنه: نطقي من خلف تلك الأواني وإني دائم كل الأواني.

كون المعاني في الأواني ككون الماء في الثلج، فالمعاني قديمة وظهور الأواني حادثة فإذا استولت المعاني علي الحسيات صار الكل قديماً، لذلك قال الجنيد رضي الله عنه للذي قال الحمدلله ولم يزد رب العالمين فقال له الجنيد كمّلها فقال له أي قرر للعالمين حتي تذكر معه فقال له الجنيد كمّلها يا أخي فإن الحادث إذا قورن بالقديم تلاشي الحادث وبقي القديم.

وأما القدرة والحكمة: فالقدرة من شأنها الإبراز والإظهار.

والحكمة: من شأنها التغطية والاستتار، لأن الحكمة هي اقتران الأسباب والعلل بمسبباتها، فإذا أبرزت القدرة ما سبق به القدر جعلت الحكمة لذلك أسباباً وعللاً ليبقي السر مصوناً والكنز مدفوناً، فالحكمة التي تسميها العلماء الكسب والاكتساب عند أهل السنة.

فالجبرية: وقفوا مع القدرة ولم ينظروا إلي الحكمة وهو جهل وجمود، والمعتزلة وقفوا مع الحكمة ولم ينظروا إلي القدرة وهو شرك أو كفر.

وأهل السنة نظروا إلي تصرف القدرة مرتدية برداء الحكمة وهو عين الكمال، إلا أن الحكمة عند الصوفية: أعم من الكسب عند أهل الظاهر ولا يفرق بين القدرة والحكمة إلا أهل الشهود والعيان.

وأما أهل الخلق والأمر: فالخلق عبارة عن خلق الأشياء بالتدريج حسبما اقتضته الحكمة، والأمر عبارة عن إبراوه في لحظة كما هو شأن القدرة، قال تعالي: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٥٤] إلا أن الأمر لا ينفك عن الخلق إلا في المعجزة للنبي أو الكرامة للولي، كما لا تنفك القدرة عن الحكمة لأن عالم الخلق من جملة الحكمة التي وقع بها الاستتار لسر القدرة

وأما الشريعة والحقيقة: فالشريعة أدب الظواهر، والحقيقة معرفة البواطن، الشريعة تغطية للحقيقة كالحكمة للقدرة بل هي من جملة الحكمة، وأما الفنا فهو الغيبة عن حس الكائنات بشهود المعاني والبقاء شهودهما معاً فيعطي كل ذي حق حقه ويُوفي كل ذي قسط قسطه.

والشكر هو عين الفنا والحمد عين البقاء.. والله تعالي أعلم.

فالتمييز هو المفسر لما انبهم من الذوات مع المعاني فيميز بينهما ويقوم بحق كل واحد منهما، وبالله تعالي التوفيق.

باب الاستثناء

الاستثناء لغة: إخراج الشئ مما دخل فيه غيره أو إدخال الشئ فيما خرج منه غيره.

واصطلاحاً: الإخراج بإلا أو إحدي أخواتها تحقيقاً أو تقديراً من مذكور أو متروك بشرط الفائدة

وحروف الاستثناء ثمانية وهي:

إلا، وغير، وسِوَي، سُوَيً، وسواء، وخلا، وعدا، وحاشا.

فالمستثني بإلا: ينصب إذا كان الكلام تاماً موجباً نحو قام القومُ إلا زيداً، وخرجَ الناسُ إلا عمراً، وإن كان الكلام منفياً تاماً جاز فيه البدل والنصب علي الاستثناء نحو: ما قامَ القومُ إلا زيدٌ وإلا زيداً، وإن كان الكلام ناقصاً كان علي حسب العوامل نحو: ما قامَ إلا زيدٌ، وما ضربتُ إلا زيداً، وما مررتُ إلا بزيدٍ.

والمستثني بغير وسِوَي وسُوَيً وسواء: مجرور لا غير.

والمستثني بخلا وعدا وحاشا: يجوز نصبه وجره نحو: قامَ القومُ خلا زيداً وزيدٍ، وعدا عمراً وعمرٍ، وحاشا بكراً وبكرٍ.

الإشـارة الصوفيـة:

المستثني من الفزع الأكبر هو من حصل الإيمان والطاعة أو مقام الإحسان والمعرفة، وأسباب النجاة منه ثمانية: التقوي ظاهراً وباطناً، واتباع السنة قولاً وفعلاً، والصبر علي الطاعة وعن المعصية، وفي النعمة والبلية والرضا عن الله في الجلال

والجمال والتوكل عليه في المنع والعطاء والورع عن المحرم والمكروه، والزهد في الفضول من كل شئ، ومراقبة الله في السر والعلانية.

فمن حصل هذه الأمور كان من الذين قال الله فيهم: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية: ١٠٣]، ويكون ممن استثني الله بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة الزمر الآية: ٦٨]، ومن غلبه القدر فالتوبة معروضة.. وبالله تعالي التوفيق.

باب لا النافية للجنس

اعلم أن (لا) تنصب النكرات بغير تنوين إذا جاءت مباشرة بعد النكرة، ولم تتكرر (لا) نحو:

لا رجلَ في الدارِ، فإن لم تباشرها وجب الرفع، ووجب تكرار (لا) نحو: لا في الدار رجلٌ ولا امرأةٌ.

فإن تكررت جاز إعمالها وإلغاؤها، فإن شئت قلت: لا رجلَ في الدارِ ولا امرأةَ، وإن شئت قلت: لا رجلٌ في الدارِ ولا امرأةٌ.

الإشـــارة الصوفيـة:

نفي الجنس والبعد عن الحس شرط في دخول حضرة القدس ومحل الأنس.

فرغ قلبك من الأغيار تملأه من المعارف والأسرار، كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرءاته، أم كيف يرحل إلي الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته، ولهذا شرعت كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، فهي تنفي الشرك الجلي والخفي وتطهر القلب من الشواغل والعلائق، فالعامة تنفي الشرك الجلي، والخاصة تنفي الشرك الخفي، فالنفي مسلط علي كل ما عبد من دون الله من صنم أو كوكب أو نار أو غير ذلك من معتقدات العرب وأهل الضلالة.

فمعني لا إله إلا الله: أي لا مستحق للعبادة إلا الله، فهي تنفي إستحقاق العبادة عن غير الله وتثبتها لله جل وعلا، وأما نفيها للشرك الخفي فإن من أحب شيئاً فهو

عبد له ومن ركن إلي شئ فقد تألهه، وكذلك من خاف من شئ فهو عبده، فإذا قال المؤمن لا إله إلا الله فقد أخرج من قلبه كل شئ مال إليه قلبه أو خاف منه أو طمع فيه، فمعني لا إله إلا الله: لا معبود لي ولا حبيب لي إلا الله ولا ركون لي إلي شئ ولا خوف لي من شئ إلا الله، فكل واحد ينفي ما في قلبه من الأغيار، فأولها تخلية وآخرها تحلية، ولذلك كان بعضهم إذا قال لا إله إلا الله أشار برأسه إلي قلبه أو إلي ناحية قلبه ليتمكن الله من قلبه هكذا يستمر حتي لا يجد ما ينفي، إن الله تعالي يوجد نفسه بنفسه ويخبرنا بأنه لا إله سواه فحينئذ يقول: الله الله ثم هُو هُو ثم يغرق في بحر الأحدية فيصمت اللسان ويثبت الشهود والعيان، وما ذلك علي الله بعزيز، وبالله تعالي التوفيق.



باب المنادي

المنادي خمسة أنواع:

المفرد العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والمشبه بالمضاف.

فأما المفرد العلم والنكرة المقصودة: فيبنيان علي الضم من غير تنوين نحو: يا زيدُ ويا رجلُ.

والثلاثة الباقية: منصوبة لا غير.

والمنادي هو اسم مفعول من ناديته نداء، وهو ما قصد نداؤه بواسطة حرف من حروف النداء وهي: الهمزة، وأي مقصورتان وممدوتان، ويا، وأيا، وهيا، وواو الندبة.

الإشارة الصوفية:

إن المنادي في المآرب والمشارب والأزمات.

فالمفرد العلم هو الحق سبحانه وهذا هو المقصود بالذات والأربعة وسائل، وقد يطلق المفرد العلم علي الرسول عليه الصلاة والسلام لانفراده بالكمالات وظهوره بالمعجزات كظهور نار القري ليلاً علي علم، وإليه أشار صاحب البردة بقوله:

خفضت كل مقام بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

ولا شك أنه ﷺ باب الله الأعظم وشفيعه الأكرم، به يفرج الكرب وتقضي المآرب ولله در سيدي مصطفي البكري الصديقي حيث قال:

فلذ به في كل ما ترتجي فهو الشفيع دائماً يقبل
وعذ به من كل ما تختشي فإليه المرجع والموئل

والنكرة المقصودة: وهي سر الولاية فمن ظفر بها كان باباً من أبواب الله يفزع إليه في الشدائد وتقضي بشفاعته الحوائج لأنه نائب عن الرسول الذي هو الحجاب الأعظم، وإنما فسرنا النكرة المقصودة هنا بسر الخصوصية لأنها تنكر أولاً وتقصد ثانياً بعد التمكن منها فيظهر الله صاحبها بعد الخفاء لينتفع به العباد وتحيا به البلاد.

والنكرة غير المقصودة: هي الخصوصية التي بقيت علي حال الخفاء حتي مات صاحبها فهو كنز من كنوز الحق، وعروس الحضرة لا يعرفه إلا أمثاله ومن قرب منه، والمضاف إلي أولياء الله بالتربية والخدمة هو ملحق بهم في المآل.

والمشبه بالمضاف: هو من تزيّا بزيهم وانتسب إليهم ولم يكن له ناهضة للظفر بسرهم، فلا شك أنه تلحقه بركاتهم وتنصب عليه أنوارهم كما قال القائل.

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه إن لم أكن منهم فلي في حبهم عز وجاه

فأما المفرد العلم ويراد به الرسول عليه الصلاة والسلام والنكرة المقصودة فمبني أمرهم علي الضم علي الله والجمع بالله من غير ثنوية الأثر بشهود المؤثر فلا يفترقون عنه ساعة، والثلاثة الباقية منصوبة للمقادير يجري عليهم ما كتب لهم مع السكون تحت مجاريه إن قربهم فبفضله، وإن فرقهم فبعدله والستر من أجله يجلوا، وبالله تعالي التوفيق.

باب المفعول من أجله

هو الاسم المنصوب الذي يذكر بياناً لسبب وقوع الفعل نحو قولك: قام زيدٌ إجلالاً لعمرو، وقصدتك ابتغاء معروفك.

ويقال له المفعول معه، والمفعول لأجله، وحدّه في التسهيل: هو المصدر المعلل به حدث مشاركة في الوقت ظاهراً أو مقرراً والفاعل تحقيقاً أو تقديراً.

وقال الفاكهي: هو المصدر القلبي الفضلة المحدث لحدث مشاركة وقتاً وفاعلا.

ويشترط في نصبه:

كونه مصدراً، كونه قلبياً، كونه ظاهراً، اتحاده بالمعلل به وقتاً، اتحاده بالمعلل به فاعلا.

الإشـــارة الصوفيـــة:

المفعول من أجله هو المسمي عند الصوفية بعالم الحكمة وهو عالم الأسباب والعلل بخلاف عالم القدرة، فإنه عالم الإبراز والإظهار، فعالم القدرة هو عالم الأمر، وعالم الحكمة هو عالم الخلق ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٥٤].

فالقدرة تبرز، والحكمة تستر، فلا تبرز القدرة شيئاً إلا مرتدياً برداء الحكمة إلا في المعجزة للرسل والكرامة للولي، فإن القدرة تبرز بلا تغطية تصديقاً لذلك النبي أو الولي.

فعالم الدنيا عالم القدرة فيه باطناً، والحكمة فيه ظاهرة لأنه عالم التكليف ليظهر فيه مزية الإيمان بالغيب، بخلاف عالم الآخرة، فإن القدرة تكون فيه ظاهرة، والحكمة باطنة لأنه عالم التعريف قد انقطع فيه التكليف.

وها أنا أذكر لك أمثلة تفهم منها القدرة والحكمة: فمثال ذلك الأرزاق الحسية والمعنوية فإنها بارزة من عين المنة بمحض القدرة لكنها متغطية بالحكمة وهي الأسباب والعلل ليبقي سر القدرة مصوناً وكنزها مدفوناً، وقد تظهر القدرة فيه بلا حكمة فيأتي من غير سبب كرامة لأهل التوجه وتعريفاً له ليقبلوا عليه، وكل من تحقق تقواه ظهر رزقه له بلا سبب لقوله تعالي « ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ » [سورة الطلاق الآية: ٢، ٣].

ومثال القدرة أيضاً مع الحكمة: جري السفن في الماء فهو بمحض القدرة لكن لابد فيه من أسباب واصطلاح إذا اختلفت وقع الغرق، فكذلك الغرس والزرع وكل ما ستنبت فلابد من سقيه وصونه ليجني ثمرته مع أن الحق تعالي قادر علي خلق الثمار فيها من غير علاج لكن لابد من وجود الأسباب في هذا العالم الدنيوي ليبقي السر مصوناً.

ومنها أيضاً: تذكيرة الأشجار فقد أراد عليه السلام أن يظهر القدرة بلا حكمة في شأن التذكير فسقطت الثمار، فقال: أنتم أعرف بدنياكم التي هي محل الأسباب والعلل «روى عن عائشة وأنس وطلحة».

وكذلك القضاء والقدر لا يبرز إلا مع الحكمة فإذا قدر الحق تعالي علي عبد مصيبة من مرض أو حبس أو غيره أو شفاء أو فرج في وقت معلوم، فإذا وصل ذلك الوقت حركه الحق تعالي لسبب ذلك فينزل به ما قدر له مستتراً بتلك الحكمة.

فالجاهل يقف مع الحكمة، والعارف ينفد إلي شهود القدرة، وقس علي هذا.

فالمفعول من أجله وهو الباعث: هو الاسم المنصوب لتغطية القدرة الذي يذكر بياناً لسبب وقوع الفعل السابق في الأزل، ومنه الإجلال والتعظيم الذي هو سبب الفتح الكبير والطلب والابتغاء الذي هو سبب الوصول إلي معرفة الحق.. وبالله تعالي التوفيق.



باب المفعول معه

وهو الاسم المنصوب الذي يذكر لبيان من فُعِل معه الفعل نحو قولك: جاء الأميرُ والجيشَ، واستوي الماءُ والخشبةَ.

وهذا هو الاسم الخامس من المفاعيل، وعرفه ابن هشام بقوله: اسم فضلة تالي لواو بمعني مع تالية لجملة ذات فعل أو اسم فيه معناه وحروفه.

الإشـــارة الصوفيـة:

المفعول معه: هو الاسم الذي تفعل الأشياء كلها معه وبحضوره وهو الله القائم علي كل نفس بما كسبت، الرقيب علي كل شئ، والحاضر مع كل شئ، قال تعالي: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد الآية: ٤]، وقال ﷺ (اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد) «روى عن بن عمر رضي الله عنهما» فالمعية عند أهل الفرق بالعلم والإحاطة، وعند أهل الجمع بالذات والصفات لأن الصفات لا تفارق الموصوف، فالعلم لا يفارق العالم، وقال تعالي: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [سورة المجادلة الآية: ٧].

وقال العارف رضي الله عنه: المعية بالعلم عموم وبالقرب خصوص، والقرب بالعلم عموم وبظهور التجلي خصوص، وكذلك: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النجم الآية: ٨، ٩].

فإذا ارتفع الأين والبين والمكان والجهات واتصل أنوار كسوف الذات والصفات بالعارف فذلك حقيقة المعية إذ هو سبحانه منزه عن الانفصال والاتصال بالمحدث، ولو تري أهل النجوي الذين مجالستهم لله وفي الله لتري من وجوههم أنوار المعية، أين أنت من العلم الظاهر الذي يدل علي الرسوم، ألم تعلم أن علمه تعالي أزلي وبالعلم يتجلي للمعلومات فإذا كان الذات لا تخلو من قرب الصفات كيف تخلو من قرب الذات، الأرواح المقدسة العاشقة المستغرقة في بحر وجوده.

المراد منه وحاصل كلامه: أن المعية بالعلم تستلزم المعية بالذات لأن الصفة لا تفارق الموصوف وهذا السر لا يفهمه إلا أهل الفناء في الذات بصحبه مشايخ التربية وإلا فشأن من لم يبلغ أذواقهم التسليم، كما قال الشاعر:

إن لم تَرَ الهلال فسلم   لأناس رأوه بالأبصار



باب مخفوضات الأسماء

أي الأسماء المخفوضات فهي من إضافة الصفة إلي موصوفها ثم بينها فقال المخفوضات ثلاثة أقسام:

مخفوض بالحرف، ومخفوض بالإضافة، وتابع للمخفوض أي مخفوض بالتبعية.

وزاد بعضهم: المخفوض بالجوار مثل: هذا جحر ضب خرب.

فأما المخفوض بالحرف: فهو ما يخفض بمن، وإلي، وعن، وعلي، وفي، ورب، والباء، والكاف، واللام، وحروف القسم وهي: (الواو، والباء، والتاء) وبواو رب،ومذ،ومنذ.

وأما ما يخفض بالإضافة فنحو قولك: غلام زيد، وهو علي قسمين: ما يقدر باللام وما يقدر بمن فالذي يقدر باللام نحو: غلامُ زيدٍ، والذي يقدر بمن نحو: ثوبُ خزٍ، وبابُ ساجٍ، وخاتمُ حديدٍ

الإشار الصوفية:

المخفوضات عن مراتب الرجال ثلاثة:-

١ـ مخفوض بسبب الحرف وهو من يعبد الله علي حرف أي طمع في عوض دنيوي أو أخروي فهو كالعبد السوء إن أعطي عمل وإن لم يعطَ لم يعمل، فإن أصابه

خير وهو العوض الذي طمع فيه اطمأن به وسكن إليه، وإن أصابته فتنة وهو فقدان ذلك العوض انقلب علي وجهه ورجع عن عبودية سيده خسر الدنيا والآخرة.

أما الدنيا فلفقدان حظه منها، وأما الآخرة فلعدم التزود لها ذلك هو الخسران المبين.

٢ـ والمخفوض بالإضافة إلي الأرزال وصحبتهم، وقد تقدم قول الشاعر:

إياك أن ترضي بصحبة ساقط　　　فتنحط قدراً من علاك وتحقرا

وكان عيسي عليه الصلاة والسلام يقول: لا تجالسوا الموتي فتموت قلوبكم، قيل ومن الموتي يا روح الله، قال: الراغبون في الدنيا والمحبون لها.

أو كما قال عليه الصلاة والسلام: (المرء علي دين خليله) وقال أيضاً (من أحب قوماً حشر معهم) (والمرء مع من أحب).

ولا تعرف مراتب الرجال إلا بأصحابها أعني مشايخها.

٣ـ مخفوض بالتبعية لنفسه وهواه، فمن تبع هواه أهوي به إلي الهوان كما قال الشاعر:

لا تتبع النفس في هواها　　　إن اتباع الهوي هوان

وقال آخر:

نون الهوان من الهوي مسروقة　　　وأسير كل هوي أسير هوان

ولابن دريد رحمه الله:

إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة　　　وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فإنما　　　هواك عدو والخلاف صديق

فالعز كله في مخالفة الهوي والذل كله في اتباعه، ويكفيك قول الله تعالي:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [سورة الجاثية الآية: ٢٣].

* وبالله تعالي التوفيق وهو الهادي إلي سواء الطريق *

* وصلي الله علي سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين *

* ورسول رب العالمين هذا آخر ما قصدناه من *

شرح متن الأجرومية المسمي بنحو القلوب لابن عجيبة رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه، أسأل الله تعالي أن ينفع به كاتبه أو مطالعه أو محصله أو سعي في شئ منه وأن يكسبه جلباب القبول، وأن يبلغنا القصد والمأمول إنه علي ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



فهرس المحتويات

***